المكي والمدني

في

الحديث النبوي الشريف

(رؤية جديدة)

المؤلف

الدكتور/ رفعت محمد عناني

وكما يجري نهر النيل جالبا الخير ...
حاملا الحياة..
ناثرا الامل ..
يفتح مركز نهر النيل بابه ..
تزدهر بفيضه أرض الكلمات ..
لتظل بأشجارها جموع الباحثين
عن كنوز الفكر ...

الكتاب : المكي والمدني
الكاتب:الدكتور رفعت محمد عناني
الناشر: مركز نهر النيل للنشر
الطبعة العربية الأولي (مصر) ٢٠١٩
تنسيق: مركز نهر النيل للنشر
رقم الإيداع: ٢٠١٢٢
الترقيم الدولي: ٣-٠٠-٦٧٧٠/٩٧٧/٩٧٨
مركز نهر النيل للنشر والتوزيع
ج.م.ع – الزقازيق – ص.ب ٨٥
موبايل وواتس آب: ٠٠٢/٠١٠٦٥٤٤٩٢٧٢
أرضي: ٠٠٢/٠٥٥٢٣٨٦٩٦٩
E.mail: nhrelnile@yahoo.com
مركز نهر النيل للنشر: Facebook

كل ما ودر في الكتاب مسؤولية الكاتب سواء من حيث ملكيته للنص أو من حيث الموضوعات
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولمركز نهر النيل للنشر، ولا يجوز بأي صورة اقتباس أو ترجمة أو إعادة طبع
أو نشر في أي صورة، ورقية كانت أو إلكترونية، إلا بإذن كتابي من المؤلف أو الناشر

إهـــــداء

❖ إلى من يؤيدني في بحثي هذا وإلى من يعارضني، إن أصبت فالفضل لله ولمحبتي لرسول الله ﷺ وإن جاوزت الصواب فإني أطمع في رحمة مجرى الحساب، ورب الارباب، ومن له تخضع الرقاب، سبحانه عنده وحده حسن الثواب.

❖ إلى هؤلاء الذين يؤمنون بعظمة رسول الله ﷺ ليزدادوا إيمانا وحبا وولاءً.

❖ وإلى هؤلاء الذين جهلوا أو تجاهلوا مدرسة الإسلام، وأستاذية محمد ﷺ، فكانوا أحق الناس بالحاجة إلى من يذكرهم بعظمة من أوتى جوامع الكلم، واقدم هذا الجهد المتواضع لا أبتغى إلا وجه الله تعالى.

❖ وإلى هؤلاء الذين أهملوا عن عمد أو خطأ سنة المعصوم ﷺ عساهم يثوبون إلى رشدهم، ويتذكرون قول الحق ﴿**يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ومَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا**O **[النساء: ٨٠]**

❖ وإلى هؤلاء الذين أساءوا إلى رسول الله ﷺ ليدركوا أنهم أساءوا إلى خير خلق الله قاطبة.

إلـى كـل هؤلاء وهؤلاء أهدى هذا الـكـتـاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، وترفع الدرجات، وتسمو المقامات وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تفضل على الانسانية فأهداها سيدنا محمداً ﷺ شاهدا ومبشرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا.

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، الذى جاء إلى الحياة فرفع الله به قدر الأحياء، فبث الرشد في الضمائر، وبعث الطهر في السرائر، وألقى النور في البصائر.

اللهم صل وسلم وبارك على من شرح الله صدره ووضع عنه وزره ورفع بين العالمين ذكره، فذكره مرفوع، وحديثه مسموع، وأمره ونهيه مشروع إلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

أمل بعد:

فإن من الأعمال القيمة التي يقوم بها المسلم، ويعتنى بها أيما اعتناء هو إسهامه بنشر العلوم الإسلامية المختلفة، وتوضيحها للمسلمين، وتسهيلها عليهم، وقيامه بأسلوب ميسر وسهل، حتى يتمكن المسلمون من الاستفادة من تلك الثروة الهائلة من العلوم الإسلامية التي تركها لنا علماء المسلمين في شتى ميادين الشريعة الإسلامية من تفسير وفقه وحديث، وغير ذلك، نتيجة لما بذلوه من جهود مضيئة في سبيل تدوين تلك العلوم الإسلامية وتقعيد قواعدها، وتسهيلها للاستفادة منها.

ومن الواجب أن يتعمق المسلمون في هذا التراث العلمي الهائل، وأن يقوموا بنشره بما يحقق الفائدة الكبرى للمسلمين، وبما يوجد حلولاً عدة لمشاكلهم الكثيرة.

وإن العلم الذى لابد منه لكل قاصد، ولا يستغنى عنه طلبه عالم ولا عابد، علم الحديث والسنة، وما شرعه الرسول ﷺ لأمته وسنه.

دين النبي وشـــرعـه أخبـاره وأجـل علـم يقتفـى آثـاره

من كان مشـتغلا بها وبنشـرها بين البريـة لا عفـت آثـاره

وهو من العلوم الأخروية، والنجاة لمن تمسك به من كل بلية، والعصمة لمن التجأ إليه، والهدى لمن استهدى به وعول عليه، وأهله حفاظ الشريعة من الأعداء، وحراسها ممن يريدون التمرد والشقاء.

وبحمد الله وعونه وتوفيقه قد قرأت البحث وتأملت فصوله ومباحثه، فألفيته في الجملة بحثا علميا في الأعم الأغلب.

وبالمتابعة للبحث تبين أنه مهيكل في مقدمة وأربعة فصول، وتحت كل فصل عدة مباحث، أجاد الباحث في كل ما كتب ودون.

ولقد تميز البحث بعدة مزايا منها:

١- أنه يثرى المكتبة الحديثة بمؤلف في هذا الشأن، وقد هدى إليه الباحث، والله يأجره على هذا.

٢- اعتمد على مصادر أصيلة في تأصيل المنقول والأقوال.

٣- ساق ما يكفى من الأدلة لتوضيح المسائل التي جاءت في أثناء البحث وأسال الله التوفيق والسداد للباحث، وأن ينتفع الناس بهذا العمل الطيب.

أ.د/ محمد محمود أبو هاشم
نائب رئيس جامعة الازهر للوجه البحري
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى أسبغ على عباده نعما ظاهرة وباطنه، ومن جملة نعمه وآلائه وأجمل بها نعمة، أن بعث فينا رسولا منا وأنزل عليه الكتاب والحكمة كما قال تعالى ﴿**كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٥]

ومن جملة نعمه التي لا تعد ولا تحصى، أن هدانا إلى معرفة بعض كتابه، وجزء من أسراره وسبر لبعض أغواره ووفقنا إلى سلوك سبيله، وطريق رسوله وحسن لنا الشرع، وأجمل لنا الملة قال تعالى﴿**اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[المائدة: ٣]

ومن نعمه التي تنحني لها الرؤوس حمدا وشكرا، أن جندنا في خدمة دينه، واستعملنا فيما يحب ويرضى، وأراد بنا الخير.

قال تعالي ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ المُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ**O [آل عمران: ١١٠]

وعن ابن عباس، أن النبي ﷺ " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين" رواه أحمد في مسند عبدالله بن عباس[1] وعن جبير بن مطعم قال : قام رسول الله ﷺ بالخيف من منى فقال "نضر الله امرا سمع مقالتي، فوعاها، ثم أداها إلى من لم يسمعها، فرب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

وبعد

فهذه الرؤية الجديدة التي أضعها بين يدى القارئ العزيز، ما هي إلا جهد متواضع واجتهاد شرح الله به صدري، ورغبة صادقة في مزيد من الفهم والوعى بسنة الرسول ﷺ ربما يؤيدها البعض أو يعترض عليها البعض الآخر، وهذا شأن الأمور التي لم يرد فيها نص، وتركت للاجتهاد والبحث.

وما هممت بهذا الأمر، وكنت بين الخوف والرجاء، أستمر قرابة العامين، وبعد سؤال أهل العلم والفضل، وتحرى بعض الأسئلة والاستفسارات.

---

(١) أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى:٢٤١ هـ): مسند الإمام أحمد بن حنبل

- المحقق: شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرون – إشراف: د/ عبدالله عبدالمحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الاولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١ م جـ ٥ ص ١١.

وأخذت أتساءا لماذا لم يتم تصنيف وتقسيم السنة إلى مكى ومدنى، كما هو الأمر مع القرآن الكريم؟ وهل فات الأولين الحديث عن هذا الأمر؟ وهل لو تم ذلك يكون مخالفا لمعلوم من الدين بالضرورة؟ وهل في ذاك المسعى مساواة السنة بالقرآن؟ وكيف يتم تحديد هذا التقسيم؟ هل بمعرفة المكان؟ أو بمعرفة طريق الخطاب؟ أم يتم تقسيم بحسب الزمان؟ وكما هو الزمان المعتبر لهذا التقسيم؟ وهل هناك علوم من الممكن أن تساعد في تأسيس المكي والمدني في الحديث النبوي؟ وهل يمكن وضع بعض الضوابط للتمييز بين المكي والمدني في الحديث النبوي؟ وما الفوائد المرجوة من وراء ذلك العلم؟

سيجد القارئ العزيز بفضل الله وعطاءاته إجابه شافيه – بإذن الله تعالى وحوله – عن تلك الأسئلة في هذه الدراسة المتواضعة التي بين يديه، والتي ابتغى بها وجه الله تعالى والتعطر بعطر رسول الله ﷺ.

كان على الباحث لزاما أن يذكر بمكانة السنة المطهرة وتدوينها، وبوجود المكي والمدني في القرآن الكريم، لأن هذه الرؤية الجديدة في طرح المكي والمدني في الحديث النبوي، قريبة الصلة إلى حد كبير بالمكي والمدني إلى القرآن الكريم.

وما كان لتقسيم الحديث الشريف إلى مكى ومدنى حسب الرؤية الجديدة أن يخرج عن مثل هذه الأمور، فهو من الأمور التوفيقية التي من الممكن أن يقوم العلماء فيه بجهد كبير، خدمة للسنة المطهرة.

كذلك لم يأت التقسيم الحديث الشريف إلى مكى ومدنى أو أثر، ولو كان فيه ذلك لما تركه علماء المسلمين حتى الآن دون ذلك التقسيم

كما يمكن الاختلاف بين العلماء في كيفية التقسيم الى مكى ومدنى في الحديث، كما سبق وكان هذا الأمر مباحا في تقسيم القرآن بين العلماء.

ولا غرابة في استحداث رؤية مكملة لبعض العلوم على غرار مناهج علوم أخرى ومثل ذلك أن علم أسباب ورود الحديث أنما جاء على منهج علم أسباب النزول في القرآن الكريم، والإمام السيوطي (المتوفى:٩١١هـ) في كتابه " اللمع في أسباب ورود الحديث" ذكر هذا الأمر واضحا في سبب تأليفه للكتاب.

والله أسال أن ينفع بها وبنا، كما نسأله الرشد والسداد، والعون والمداد.

المؤلف

د/ رفعت محمد عنانى

الخميس ١٢ ربيع الأول ١٤٣٤هـ

الموافق ٢٤ يناير ٢٠١٣ م

الفصل الأول

" مكانة السنة ومنزلتها في الإسلام "

- القرآن الكريم يشهد للسنة المطهرة بالوحى
- كيفية نزول الوحى وأنواعه في السنة
- تدوين الحديث
- هل كتب الحديث في عصر النبوة؟
- أول من دون الحديث الشريف
- العصر الذهبي لتدوين الحديث الشريف

- القرآن الكريم يشهد للسنة المطهرة بالوحى

للسنة النبوية أهمية كبرى في الإسلام فهي إحدى ركائزه، وركن من أركانه وعماد من عمده، وهى أساسه المتين، ونوره المبين، ومصدره الثاني بعد القرآن الكريم.

فمكانتها من مكانته، وأهميتها من أهميته، لأنها الصنو الثاني المبين لما أبهم والمفصل لما أجمل والموضح لما أغلق.

والسنة الصحيحة هي وحى الله تعالى إلى رسوله مثلها في ذلك مثل القرآن الكريم ولا ينكر هذا الحق، إلا واحد من ثلاثة نفر إما (جاهل أو جاحد أو معاند)

ولذا كان أمر الله في كتابه الكريم إلى رسول الله ﷺ بالتبليغ واضحا في كثير من آى القرآن يقول الله تعالى﴿**أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وإن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ واللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ**﴾ [المائدة: ٦٧].

فالتبليغ يشمل الوحى بنوعيه القرآن والسنه، ولا فرق بينهما فى ذلك، وحاشا لمحمد ﷺ ألا يمتثل لأمر الله تعالى، أو أن يبلغ وحى القرآن ويترك وحى السنة.

يقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية" يقول الله تعالى مخاطبا عبده ورسوله محمدا باسم الرسالة وآمرا له بإبلاغ جميع ما أرسله الله به وقد امتثل عليه أفضل الصلاة والسلام ذلك وقام به أتم القيام.

قال البخاري عند تفسير هذه الآية، عن عائشة قالت " من حدثك أن محمدا كتم شيئا مما أنزل الله فقد كذب" وهو يقول (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك)

وقال البخاري رضى الله عنه قال الزهري: من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغة علينا التسليم وقد شهدت له أمته بإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل في خطبته يوم حجة الوداع وقد كان من أصحابه نحو أربعين ألفا.

كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبدالله أن رسول الله قال في خطبته يومئذ" أيها الناس إنكم مسئولون عنى فما أنتم تقولون؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فجعل يرفع إصبعه إلى السماء وينكسها إليهم ويقول" اللهم هل بلغت"[1]

ومما يؤكد على تلك الأهمية الكبرى للسنة المطهرة في الإسلام، أن القرآن الكريم أشار في غير موضع إلى أن كل ما ينطق به الرسول ﷺ هو وحى من عند الله تعالى لرسوله.

قال تعالى في سورة النجم ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقوى**﴾ [النجم ٣-٥]

---

(١) الإمام الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن الكريم – راجعه وقام بتصحيحه أبو عبد الرحمن أحمد ابن محمد – مكتبة الإيمان –ببريدة – السعودية –جم٢– ص ٨٠ بتصرف.

" فالله تعالى نزه نبيه ﷺ أن ينطق عن هواه، بل كل ما نطق به رسوله هو من وحى الله له، فإذا كان القرآن الكريم هو المصدر الأول فالسنة المطهرة هي المصدر الثاني، وكلاهما من نطق رسول الله ﷺ"

وهذا ما عليه جمهور العلماء وأصحاب الحديث وأهل السنة والجماعة.

يقول الإمام الفخر الرازي " ويمكن أن يقال وما ينطق عن الهوى دليل على أنه ما ضل وما غوى، تقديره كيف يضل أو يغوى وهو لا ينطق عن الهوى، وإنما يضل من يتبع الهوى ويدل عليه قوله تعالى " ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله " فإن ما ذكرت من الترتيب الأول على صيغة الماضي في قوله ما ضل، وصيغة المستقبل في قوله وما ينطق عن الهوى في غاية الحسن، أي ما ضل حين اعتزلكم وما تعبدون في صغره، وما غوى حين اختلى بنفسه ورأى في منامه ما رأى، وما ينطق عن الهوى الآن.

حيث أرسل إليكم وجعل رسولاً شاهداً عليكم فلم يكن أولاً ضالاً ولا غاوياً وصار الآن منقذاً من الضلالة ومرشداً وهادياً[1].

---

(1) ابو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسيني التيمي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى ٦٠٦هـ) مفاتيح الغيب – التفسير الكبير – الناشر: دار احياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الثالثة – ١٤٢٠هـ جـ ٢٨ ص ٢٣٤.

ويسوق الإمام السيوطي في تفسير آية النجم روايات عدة، تبين مكانة السنة وأهميتها، وأنها من وحى الله لرسوله الذى لا شك فيه ولا مراء، وكل ما كان ينطق به رسول الله هو الحق بعينه.

"فقد أخرج البزار عن أبى هريره عن النبي ﷺ قال "ما أخبرتكم أنه من عند الله فهو الذى لا شك فيه"

وأخرج أحمد عن أبى هريرة عنه عن رسول الله أنه قال " لا أقول إلا حقا قال بعض أصحابه فإنك تداعبنا يا رسول الله قال (إني لا أقول إلا حقا) وأخرج الدرامي قال " كان جبريل ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن"[١] وعلى هذا السلف والخلف.

وقد قال بذلك من فرق المسلمين: المعتزلة حيث أشار الإمام الزمخشري "٤١٧هـ-٥٣٨هـ" وهو من أئمة المعتزلة في الكشاف في تفسير آية النجم وما أتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه، وإنما هو وحى من عند الله يوحى إليه، ويحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للأنبياء ويجاب بأن الله تعالى إذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد وما يستند إليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى [٢].

---

(١) عبدالرحمن بن أبى بكر السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور – دار هجر – مصر ٢٠٠٣م.

(٢) العلامة جار الله أبو قاسم محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف –دار الكتاب العربي – جـ٤ ، ص ٤١٨.

وقال قتادة أي ما ينطق بالقرآن عن هواه إن هو إلي وحى يوحى أي ما هو الذى ينطق به إلا وحى من الله بوحيه إليه

كما قال بذلك أيضا الإمام الشوكاني " المتوفى ١٢٥٠هـ" في تفسيره "فتح القدير " وهو من أئمة الشيعة الزيدية " وام ينطق عن الهوى" ما يصدر نطقه عن الهوى لا بالقرآن ولا بغيره "فغن بمعنى على" وقال أبو عبيدة إن عن بمعنى الباء أي بالهوى، قال قتادة أي ما ينطق بالقرآن عن هواه إن هو إلا وحى يوحى أي ما هو الذى ينطق به إلا وحى من الله يوحيه إليه [١]

" ولم يخالف في هذا إلا شرذمة من الخوارج والروافض لا يقام لهم وزن في معيار البحث العلمي[٢]

وهم كما هو معروف من أهل الهوى والزيغ والصلال الذين يأخذون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ويتبعون ما تشابه منه، كما يوضح الشيخ محمد حافظ التيجاني تحت عنوان " موقف أهل الزيغ في الاحتجاج بالقرآن" مستشهداً بكتاب القرآن لجميع الملل والأديان للإمام

---

(١) محمد بن على بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمنى(المتوفى١٢٥٠هـ) فتح القدير – الناشر : دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت الطبعة الأولى –١٤١٤هجـ٥ ص١٢٦ .

(٢) دكتور محمد محمد أبو شهبه: في رحاب السنة (الكتب الصحاح الستة)– سلسلة البحوث الإسلامية – الكتاب الثامن –١٣٨٩هـ ١٩٦٩م ص١١.

الرازي فيقول وما من طائفة من الطوائف إلا واحتجت بالقرآن بحسب هواها، وللرازي كتاب "حجج القرآن لجميع الملول الأديان ذكر فيه كيف احتجت كل الطوائف الزائفة بالقرآن ولكنهم لم يحتجوا إل بوجه محتمل عندهم، وتركوا الصريح الذى لا يحتمل قال تعالى ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**﴾ [آل عمران٧] وتشكيكهم في السنة لا يجديهم شيئا، وهدفهم ترك السنة [1]

كما يمكن أن نرى مكانة السنة المطهرة في كتاب الله تعالى في آيات أخرى تدل على أن مكانتها ومنزلتها يشهد لها به الكتاب العزيز قال تعالى في سورة القيامة ﴿**لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩)** ﴾

كان حرص النبي شديدا على تلقى الوحى وكان حينما ينزل جبريل عليه السلام بالقرآن يسارع رسول الله بتحريك لسانه مخافة نسيانه وتفلته منه، فنهاه الله تعالى عن فعل ذلك، وأنه إذا جاءه الملك بالوحى أن يستمع له، وتكفل الله بجمعه في صدره وتيسير أدائه على الوجه الذى ألقاه إليه، كما ضمن له الله أن يفسره له ويوضحه ويشرحه بوحى السنة

(1) الشيخ محمد الحافظ التجاني: سنة الرسول – هدية مجلة الأزهر شعبان ١٤٢٧ هـ ص ٢٨.

ولذلك قال تعالى ﴿ **ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾ وعن ابن عباس قال في قول الله تعالى ﴿**لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ**﴾ قال كان رسول الله يعالج من الوحى شدة، وكان يحرك شفتيه، فقال ابن عباس فانا أحركها لكم كما كان يحركهما، فحرك شفتيه، فأنزل الله لا تحرك به لسانك لتعجل به (إن علينا جمعه وقرآنه) قال جمعه لك في صدرك وتقرأه (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) وقال واستمع له وانصت "ثم إن علينا بيانه"[1]

فالحالة الأولى: جمعه في صدره، ولا ثانية: تلاوته، والثالثة: تفسيره وإيضاح معناه بعد حفظه وتلاوته، نبينه لك ونوضحه ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا قال بن عباس وعطية العوفي "ثم إن علينا بيانه "تبين حلاله وحرامه وكذا قال قتادة[2]

والمتأمل في القرآن الكريم يجد أن الآيات التي جاء فيها لفظ "كتاب مقرونا بالحكمة غنما قصد به القرآن والسنة وهي في سورة البقرة دعوة إبراهيم عليه السلام ﴿**رَبَّنَا وابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ والْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ**

---

(1) محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنه وأيامه – صحيح البخاري – المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر – الناشر: دار طوق النجاة – الطبعة الأولى،١٤٢٢هـ جـ١ ص٨.

(2) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم جـ٤ ص ٤٧٩.

الحَكِيمُ﴾ [البقرة ١٢٩] قال بذلك الحسن وقتادة ومقاتل بن حيان وأبو ملك وغيرهم وهذا قول أئمة التفسير وأهل الحديث. كما قال تعالى **﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الكِتَابَ والْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾** [البقرة: ١٥١]

وهذا فضل الله على أمة محمد لا يدانيه فضل، ومنة لا تعدلها منة، حيث عدد مننه فمنها أنه أرسل إليهم رسولا من أنفسهم، ومنها أنزل إليهم القرآن بلسانهم ومنها الوحى بالسنة المطهرة.

يقول الإمام بن كثير " يذكر تعالى عباده المؤمنين ما أنعم به عليهم من بعثة الرسول محمد إليهم يتلو عليهم آيات الله مبينات يزكيهم أي يطهرهم من رذائل الأخلاق ودنس النفوس وأفعال الجاهلية ويخرجهم من الظلمات الى النور ويعلمهم الكتاب وهو القرآن والحكمة وهى السنة ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون" [١]

وفى هذه الأمور السابقة منن عظام ونعم كبيرة وكثيرة للمؤمنين بالله وبرسوله وبوحيه المنزل، ولذا سجل سبحاته ذلك في سورة آل عمران فقاله **﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ والْحِكْمَةَ وإن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾** [آل عمران ١٦٤]

---

(١) المصدر السابق في الصفحة السابقة.

ومن الملاحظ أن هذه الآية الكريمة جاءت في سياق الآيات التي تحدثت عن رحمة الله للأمة ببعثة هذا الرسول الكريم والمؤيد بنصر الله تعالى له ولمن اتبعه فهم في ذلك درجات، ويؤكد تعالى لرسوله في سورة النساء أنه مؤيد بوحى القرآن والسنة وبالعصمة من الزلل وهذا فضل من الله ورحمة به وبأمته فقال ﴿**ولَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ ورَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ ومَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ ومَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الكِتَابَ والْحِكْمَةَ وعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا**﴾ [النساء ١١٣]

وإذا كان الفضل سابغا من الله على رسوله في تعليمه إياه الكاتب والحكمة والعصمة من الضلال فإن الله تعالى شمل الأمة بعظيم فضله وعطفه أن بعث في الأميين رسولا منهم يعلمهم القرآن والسنة ويزكيهم بهما من دنس الشرك ورجس الجاهلية قال تعالى ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ويُزَكِّيهِمْ ويُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ والْحِكْمَةَ وإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾ [الجمعة: ٢]

كيفية نزول الوحى وأنواعه في السنة

يبين الله تبارك وتعالى الوحى وأنواعه وكيفيته، وتكليم الله للبشر إنما يأتي على عدة طرق أجملها ربنا في قوله تعالى ﴿**ومَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (٥١)** ﴾ [الشورة ٥١]

أي وما كان لأحد من البشر عامة أن يخاطبه سبحانه وتعالى – من ذلك جملة الرسل الذين أرسلهم الله إلا من وراء حجاب ستر الله به نفسه فلا عين تراه أو يبعث بالوحى رسولا من الملائكة فينزل الكتب على رسل الله من البشر.

قال الإمام القرطبي في سبب نزول هذه الآية، أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ألا تكلم الله وتنظر إليه، إن كنت نبيا، كما كلمه موسى ونظر إليه، فإنا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك، فقال النبي ﷺ وإن موسى لم ينظر إليه " وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا" (١)

وهذه مقدمات الوحى بالنسبة إلى جناب الله، وهو تبارك وتعالى تارة يقذف في روع النبي شيئا لا يتمارى فيه أنه من الله عز وجل كما جاء في صحيح أبن حبان عن رسول الله أنه قال "إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب" وقوله أو من وراء حجاب كما كلم موسى عليه السلام فإنه سأل الرؤية بعد التكليم فحجب عنها(٢)

---

(١) الإمام القرطبي أبو عبدالله محمد بن أحمد بن ابى بكر بن بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي :الجامع لأحكام القرآن– تحقيق أحمد البردوني – =

=دار الكتب المصرية – القاهرة – الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ١٩٦٤م – جـ٨ ص ٥٣

(٢) تفسير ابن كثير: مرجع سابق جـ٤ ص ١٣١

وفى صحيح ابن حبان أن رسول الله قال لجابر بن عبدالله رضى الله عنهما " ما كلم الله أحدا إلا من وراء حجاب وإنه كلم أباك كفاحا [1] كذا جاء في الحديث وكان قتل يوم أحد ولكن في عالم البرزخ والآية إنما هي في الدار الدنيا وقوله " أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء" كما ينزل جبريل عليه السلام وغيره من الملائكة على الانبياء عليهم السلام. ويشرح الإمام شمس الدين الإسفيرنيى بشكل تفصيلي كيفية الوحى ونزوله على رسل الله فيقول في شرحه " المجالس الوعظية في شرح حديث خير البرية لصحيح افمام البخاري بأن الوحى على قسمين:

الأول: وحى إعلامي

الثاني: وحى إقراري

الوحى الإعلامي له كيفيات متعددة وهى سبع :

الكيفية الأولى: ان يوحى إليه بواسطة الإلهام فيلقى الله في قلبه المعاني مع العلم اليقيني أن هذا من عند الله سبحانه، وهذه الكيفية هي المراد من

(١) محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستى(المتوفى ٣٥٤هـ)الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان ترتيب: الامير علاء الدين على بن بلبان الفارسي (المتوفى ٧٣٩هـ)حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه : شعيب الأرناؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م جـ١٥ ص ٤٩١.

قول الحق سبحانه وتعالى" وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب"

الكيفية الثانية: أن يكلمه الله من وراء حجاب

الكيفية الثالثة: الرؤيا الصادقة، فيرى صلى الله عليه وسلم الشيء في الرؤيا فهذا وحى، وكما قال النبى ﷺ أن رؤيا الأنبياء وحى ثم قرأ ﴿**إِنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ**﴾ [الصافات ١٠٢]

الكيفية الرابعة: أن يوحى إليه بواسطة الملك، وقد تمثله الملك رجلا فيكلمه بما أمر به من الوحى، فأحيانا كان جبريل يأتي رسول الله على صورة دحية الكلبى.

الكيفية الخامسة: أن يوحى إليه بواسطة الملك ولا يرى الملك وإنما يعلم بمجيء الوحى بعلامات تدل عليه من دوى كدوى النحل أو كصلصة الجرس.

الكيفية السادسة: أن يوحى إليه بواسطة الملك دون أن يكلمه، وإنما يلقى في قلبه صلى الله عليه وسلم ما أمر به من الوحى، عن أبى نعيم في الحلية عن أبى أمامه قال رسول الله ﷺ "وإن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب.

الكيفية السابعة: أن يوحى إليه بواسطة الملك على الصورة الحقيقية التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح كما عند البخاري في الصحيح.

الوحى الاقرارى: وهو أن يجتهد النبي في الأمر فيسلك فيه مسلكا ما فإن كان صوابا أقره الوحى وإن كان غير صواب نبه الوحى وحينئذ يكون إعلاميا فالوحى التقريري هو ما أقره الله سبحانه نبيه فيه على صواب فعله من تلقاء نفسه (١)

ومن الإعجاز النبوي أن حدثنا النبي ﷺ على أنه سيأتي قوم من بعده ينكرون وحى السنة إليه، وهم في شبع وراحة لم يتكلفوا عناء الرسالة وتبليغها ومشقة الوحى وشدته، ضاربين بوحى السنة جاحدين به، معرضين عنه، آخذين بالقرآن وحده.

فأراد النبي أن يبين لهم أنه أوتى القرآن بوحى الله ومعه سنته المطهرة الموحى بها من الله أيضا وقد ضرب لهم صلى الله عليه وسلم الأمثلة على ذلك.

فعن المقداد بن معد يكرب الكندي قال رسول الله " ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك الرجل ينثني شبعا ناعل أريكته يقول عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي،

---

(١) شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد الإسفيزنيى (المتوفى ٩٥٦هـ) المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية صلى الله عليه وسلم من صحيح البخاري – المؤلف حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي عبدالرحمن– الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – الطبعة الأولى،١٤٢٥هـ –٢٠٠٤م – جـ١ ص ٧١.

ولا كل ذي ناب من السباع..."[1] قال إسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الصحيح.

وفى سنن أبى داود كذلك ما يفيد أن رسول الله بين لأمته وللظانين ظن السوء المنكرين لسنته الجاحدين بها، مقسما أن معه القرآن ومثله من الأمر والنهى والوعظ الشيء الكثير الذى لا يتم الدين إلا به ولا يكمل الإيمان بغيره، فسنته صلى الله عليه وسلم سنام الدين وكماله.

فعن العرباض بن سارية السلمى قال: نزلنا مع النبي ﷺ خيبر ومعه من معه من أصحابه، وكان صاحب خيبر رجلا ماردا منكرا، فأقبل إلى النبي ﷺ، فقال: يا محمد، ألكم أن تذبحوا حمرنا، وتأكلوا ثمرنا وضربوا نساءنا، فغضب- يعنى النبي ﷺ - وقال "يا ابن عوف اركب فرسك ثم ناد: ألا إن الجنة لا تحل إلا لمؤمن، وأن اجتمعوا للصلاة "قال: فاجتمعوا، ثم صلى بهم النبي ﷺ، ثم قام، فقال: "أيحسب أحدكم متكئا على أريكته، قد يظن أن الله لم يحرم شيئا إلا ما في هذا القرآن، أو أكثر وإن الله عز وجل لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن، ولا ضرب نسائهم، ولا أكل ثمارهم، إذا أعطوكم الذى عليهم"[2]

---

(1) مسند الإمام أحمد جـ٣ ص ١٧٠.

(2) أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستانى (المتوفى٢٧٥هـ) سنن أبوداود، المحقق: محمد محيى الدين عبدالحميد، الناشر : المكتبة العصرية، صيدا – بيروت جـ٤ ص ٢٠٠.

وعن المقدام بن معدى كرب، قال: قال رسول الله ﷺ ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عنى وهو متكئ على أريكته، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالا استحللناه. وما وجدنا فيه حراما حرمناه، وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله" رواه أبو داود في سننه باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

يقول الدكتور الأحمدي أبو النور تحت عنوان "أنواع السنة الموحى بها "مستندا لقول الإمام ابن كثير: نعم فقد يكون الوحى ﷺ فيما عدا القرآن تفصيلا لمجمل، كالأحاديث التي تفصل القول في أحكام الصلاة والزكاة، حيث لم يرد الحديث عنها في القرآن إلا على وجه الأجمال في قوله تعالى ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكَاةَ وارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾ [البقرة ٤٣]. وقد يكون الوحى إلى النبى ﷺ فيما عدا القرآن تقيد لمطلق فقد جاء قوله تعالى" والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما" المائدة٣٨. مطلقا ولكن الأحاديث النبوية بينت المراد من اليد وأنها اليمنى كما بينت مقدار القطع، وأنه من الكوع، وقد كان محتملا أن يكون من المرفق، وقد يكون الموحى به فيما عدا القرآن تخصيصا لأمر عام، فحين نزل قوله تعالى ﴿**ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ [الانعام: ٨٢] أشفق الصحابة على أنفسهم حين تبادر إلى اذهانهم أن المراد أي ظلم بأي معصية كبيرة كانت أو صغيرة،

وعبروا عن هذا الإشفاق أينا لم يظلم. وأبان لهم صلى الله عليه وسلم أن الظلم هنا ليس على عمومه، بل المراد خصوص الشرك فقال صلى الله عليه وسلم بذاك إنما المراد بالظلم الشرك.

وقد يكون الموحى إلى النبي ﷺ عدا القرآن حكما سكت عنه القرآن ومن ذلك الأحاديث التي وردت بشأن تحريم المتعة، وتحريم لحوم الحمر الأهلية وقد يكون الوحى إلى النبي ﷺ نسخا لحكم سبق أن نزل القرآن به، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم " لا وصية لوارث" فقد نسخ حكم الوصية للوالدين والأقربين الذين ثبت لهم الميراث من آية الميراث وثبت لهم وجوب الوصية بقوله تعالى﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ والأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى المُتَّقِينَ**﴾[1] [البقرة: ٢٨٠]

وعلى ما تقدم يمكن إجمال انواع السنة المطهرة الموحى بها من الله إلى رسوله ﷺ بأنها:

١- **تفصيل المجمل:** ببيانه وكيفيته وعدده ومقداره كما في الصلاة والزكاة.

٢- **تقيد المطلق:** حيث يتم تحديد السنة المطهرة له والمراد منه كما في حد السرقة.

---

(1) دكتور الأحمدي أبو النور: شذرات من علوم السنة جـ١، سلسلة الطالب العدد الأول، وزارة الأوقاف ص٢٢.

٣- **تخصيص العام:** بتوضيح معنى والمقصود منه كما تم في بيان معنى الطلم في الآية السابقة.

٤- **بيان حكم مسكوت** عنه: في القرآن كما في حكم نكاح المتعة والحمر الأهلية.

٥- **نسخ حكم** : نزل القرآن به كما في حديث "لا وصية لوارث"

ولهذه المنزلة العليا للسنة المطهرة ولعلاقتها القوية الوشائج والصلات بالقرآن الكريم كان غير واحد من السلف ومنهم – مكحول الدمشقي (توفى ١١٨هـ) يقول القرآن احوج للسنة من السنة قرآن"

كما يوجد ففي عهدنا المتنطعون الذين ينكرون السنة المطهرة كذلك كان في عهد السلف الصالح النماذج من هؤلاء، فقد قيل لمطرف بن عبدالله بن الشخير(٩٥هـ) لا تحدثونا إلا بالقرآن، قال مطرف " والله ما نريد بالقرآن بديلا، ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا"

وقد كان الصحابة ومن بعدهم يعلمون هذه الحقيقة، وروى ابن المبارك عن عمران بن حصين أنه قال لرجل إنك رجل أحمق أتجد الظهر في كتاب الله أربعا لا يجهر فيها بالقراءة؟ ثم قال على الصلاة والزكاة نحو هذا، ثم قال أتجد في كتاب الله مفسرا؟ إن كتاب الله أبهم هذا، وإن السنة تفسره[١]

---

(١) دكتور محمد محمد أبو شهبه: في رحاب السنة (الكتب الصحاح الستة)– ص١٠.

وكما يقول الدكتور احمد عمر هاشم في كتابه "السنة النبوية في مواجهة التحدي" عن السنة ومكانتها العظيمة في الإسلام: للسنة النبوية الشريفة منزلتها في الدين، ومكانتها في نفوس المسلمين، فهي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، وهى المبينة والمفصلة لكتاب الله، قال سبحانه ﴿**وأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ولَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [النحل:٤٤].

وقد اقترن الأمر بطاعة الرسول ﷺ بطاعة الله تعالى في قوله سبحانه وتعالى ﴿**قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ والرَّسُولَ فَإن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الكَافِرِينَ**﴾ [آل عمران: ٣٢].

ومن مقتضيات الإيمان إذا حدث تنازع في أمر، أن يرد الناس الأمر غلى الله ورسوله والى الكتاب والسنة قال الله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ والرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ [النساء: ٥٩]

كما نص القرآن الكريم صراحة على وجوب طاعة الرسول ﷺ لحكمه واتباعه، وهذه الطاعة في حال حياته، بما كان يبين للناس ما نزل إليهم، وبما كان يوضح لهم من معالم الحق والخير والحلال والحرام ويفصل

الاحكام، ويهدى الناس على الصراط المستقيم، وبعد وفاته كذلك باتباع سنته وإحيائها والسير على منوالها. [1]

تدوين الحديث

أهتم الصحابة رضوان الله عليهم اهتماما بالغا بكل ما قاله وفعله وقرره رسول الله بالإضافة غلى حفظهم القرآن الكريم في الصدور والسطور، وبهذا الشكل تكفل الله تعالى بحفظ وحيه المتمثل في الكتاب والحكمة أو القرآن والسنة لتأتى إلينا بيضاء نقية كما تركها رسول الله وصحبه الكرام.

هل كتب الحديث في عصر النبوة؟

يظن البعض أن ما كتب بين يدى رسول الله إنما كان القرآن وحده، وجاء تدوين السنة الشريفة لاحقا، وهذا الظن لا أساس له من الصحة، وقد استند هؤلاء في حجتهم على الحديث الذى رواه الإمام مسلم عن أبى سعيد الخدري وقد ورد فيه النهى في إبداء الأمر عن كتابة الحديث.

ولكن كما ورد النهى عن الكتابة، فقد ورد الأمر بالكتابة أيضا، في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص بأن قريشا كانت تنهاه عن كتابة كل ما كان يسمعه من رسول الله فسأل عبدالله بن عمرو بن العاص النبي ﷺ في ذلك.

---

(1) دكتور أحمد عمر هاشم : السنة النبوية في مواجهة التحدي – سلسلة البحوث الإسلامية السنة الثانية عشرة– الكتاب الثاني ص٢٧،٢٨.

وقد رأى أصحاب الرأي الأول أن سبب عدم كتابة وتدوين حديث رسول الله ﷺ في عصر النبوة كان لأمرين هما :

أولا: الاعتماد على قوة حفظهم وسيلان أذهانهم، وعدم توافر أدوات الكتابة فيهم.

ثانيا: لما ورد من النهى عن كتابة الأحاديث فقد روى الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال "لا تكتبوا عنى شيئا إلا القرآن ومن كتب شيئا فليحمه" والظاهر أن النهى عن الكتابة كان خشية أن يلتبس على البعض بالقرآن الكريم، أن يكون شاغلا لهم عن القرآن[1].

وعلى الرغم من ان القرآن" امتاز عن سائر كلام البشر بجزالة المعنى وفخامة اللفظ، وحسن السياق، وكمال النظم، الأمر الذى أعجز البلغاء عن محاكاته فخروا لبلاغته ساجدين، فإنه مع ذلك قد يلتبس الأمر على من ليسوا من فرسان البلاغة، إذ تشتبه عليهم الآية من القرآن بالحديث من كلام رسول الله ﷺ، فدفعا لهذا الاشتباه ومنعا للوقوع في

---

(1) دكتور محمد محمد أبو شهبه في رحاب السنة(الكتب الصحاح السته)- سلسلة البحوث الإسلامية – الكتاب الثامن – إصدار مجمع البحوث الإسلامية – الكتاب الثامن ط١٣٨٩هـ١٩٦٩م – ص١٧

خطر التغيير والتبديل، الذى وقع فيه أهل الكتاب من اليهود والنصارى من قبل، منع رسول الله أصحابه من كتابة السنن وتدوين الحديث [1]

كما يمكن إضافة سببين آخرين لتدوين الحديث بعد أن بعد عصر النبوة وعصر الصحابة:

أولا: موت كثير من الصحابة الذين كانوا يحملون إرث النبوة ومشاعل الهداية، وبفقدهم تضيع السنة، فكان لزاما على أولى الألباب أن يسارعوا إلى الحفاظ عليها بتدوينها.

ثانيا: اتساع رقعة الإسلام وانتشاره في الاصقاع واحتياج الناس إلى سنة الرسول مكتوبة ومدونة، للاستضاءة بها والاسترشاد في فهم مقاصد القرآن الكريم بعد استعجام الألسنة، فالقرآن في حاجة الى السنة أكثر من حاجة السنة للقرآن كما روى ذلك عن بعض السلف

ويوضح صاحب كتاب إرشاد الساري في شرح صحيح الإمام البخاري بعض هذه الأسباب لتدوين الحديث، شارحا مكانة السنة المطهرة فيقول تحت عنوان " في ذكر أول من دون الحديث والسنن ومن تلاه في ذلك سالكا أحسن السنن"

اعلم أنه لم يزل الحديث النبوي والإسلام غض طري والدين محكم الأساس القوى، أشرف العلوم وأجلها لدى الصحابة والتابعين وأتباعهم

---

(1) الدكتور محمد محمد أبو زهو: الحديث والمحدثون (عناية الامة الإسلامية بالسنة النبوية)- مطبعة مصر-١٣٧٨هـ ص١٢٢

خلفا بعد سلف، لا يشرف بينهم أحد بعد حفظ التنزيل إلا بقدر ما يحفظ منه، ولا يعظم في النفوس إلا بحب ما سمع من الحديث عنه، فتوفرت الرغبات فيه وانقطعت الهمم على تعلمه، حتى رحلوا المراحل ذوات العدد، وأفنوا الأموال والعدد، وقطعوا الفيافي في طلبه وجابوا البلاد شرقا وغربا بسببه، وكان اعتمادهم أولا على الحفظ والضبط في القلوب والخواطر، غير ملتفتين إلى ما يكتبونه، ولا معولين على ما يسطرونه، وذلك لسرعة حفظهم وسيلان أذهانهم.

فلما انتشر الإسلام واتسعت الأمصار وتفرقت الصحابة في الاقطار، وكثرت الفتوحات ومات معظم الصحابة وتفرق أصحابهم وأتباعهم، وقل الضبط واتسع الخرق وكاد الباطل أن يلتبس بالحق، احتاج العلماء إلى تدوين الحديث وتقييده بالكتابة، فمارسوا الدفاتر وسايرو المحابر وأجالوا في نظم قلائد أفكارهم، وأنفقوا في تحصيله أعمارهم، واستغرقوا لتقييده ليلهم ونهارهم، فأبرزوا تصانيف كثرت صنوفها، ودونوا دواوين ظهرت شفوفها، فاتخذها العالمون قدوة، ونصبها العالمون قبلة، فجزاهم الله سبحانه وتعالى عن سعيهم الحميد أحسن ما جزى به علماء أمة وأحبار ملة. وكان أول من أمر بتدوين الحديث وجمعه بالكتابة عمر بن عبدالعزيز رحمة الله عليه خوف اندراسه.[1]

---

(1) أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبدالملك القسطلانى: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري – الطبعة الأميرية ١٣٢٣هـ الطبعة السابعة جـ١ ص٦

وربما كانت تلك بعض الأسباب التي يراها من قال بعدم كتابة الحديث في عصر النبوة.

ولكن يمكن رصد بعض الأحداث والوقائع التي تؤكد لنا أن النبي قد أذن للصحابة بتدوين السنة بين يديه بعد نهيه صلى الله عليه وسلم.

يروى الإمام أحمد في مسنده عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله أريد حفظه، فنهتني قريش، فقالوا تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله، ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله فقال" أكتب فهو الذى بيدهما خرج منى إلا حق"[1]

(1) مسند الإمام أحمد جـ ١١ ص ٥٧ مسند عبدالله بن عمرو

وهذا الأمر الصريح بالكتابة يؤكد على شيئين :

أولا: أن كتابة الحديث بدأت في عصر النبوة وبين يدى رسول الله وبأمر منه.

ثانيا: علم النبي بما في صدور المشركين والمرجفين من التشكك فيما يقوله وهو مازال حيا، فكيف حال سنته بعد موته، فكان الأمر بالكتابة، ويستخدم حديث النهى عن الكتابة في الطعن في السنة عند من يريد التقليل من قيمتها والتهوين في شأنها بحيث تكون مسوغا لتصويب سهامهم إلى السنة.

يقول الدكتور الأحمدي أبو النور تعليقا على الحديث الذى رواه عبدالله بن عمرو بن العاص شارحا أسباب جواز الكتابة:

"هذا الحديث أصل في جواز كتابة الحديث عن رسول الله وعمن تلقى عن النبي. وهو أيضا ينبئنا أن العداء للسنة قديم قدم الإسلام نفسه، فلئن كانت قريش في إشراكها تنقم على المسلمين أن يسجلوا حديث نبيهم، فيعمقون بذلك إيمانهم ويقومون سلوكهم ويقاوموا عدوهم، فلاتزال موجات العداء للإسلام تتابع بحقدها وتتابع بكيدها، مصوبة سهامها إلى القرآن حينا، وإلى السنة في كثير من الأحيان[1].

(1) د الأحمدي أبو النور : شذرات من السنة – ص١١٥.

وكما روى الإمام أحمد والبيهقي أن أبا هريرة قال ما كان أحد أعلم بحديث رسول الله ﷺ منى إلا عبدالله بن عمرو فقد كان يكتب بيده ويعيه بقلبه وكنت أعيه بقلبي ولا أكتب بيدي واستأذن رسول الله ﷺ في الكتابة عنه فأذن له[1].

والله غالب على أمره، فلقد ظلت سنة الرسول يحفظها كثير من الصحابة الكرام وقد تفرغوا تماما لرصد كل قول أو فعل عن رسول الله وتحرى أحواله، وذلك بملازمته ملازمة الظل للأشياء، ويمكن فهم النهى عن الكتابة، ثم السماح بها بعد ذلك على أن كلا منهما في زمن خاص .
يقول في ذلك فضيلة الشيخ التجاني في كتابه سنة الرسول تحت عنوان كتابة الحديث: ثبت النهى عن كتابة الحديث، وثبت الأمر بها، وكلا الأمرين حق وله وجه ولكن هذا السبب صحيح في زمن خاص، وذلك السبب صحيح في زمن خاص.

والاتفاق حاصل على أن الصحابة مضى زمنهم ولم يؤمر أحد منهم بعدم الاعتداد بالسنة أو عدم الاحتجاج بها، بل كل منهم يحتج بالسنة، كذلك التابعون.

ولم يجمع الصحابة الحديث كما لم يجمعوا القرآن في أول الأمر فهل يصح لعاقل أن يقول إنهم لم يهتموا بالقرآن؟ كلا وإنما لم يفعلوا لأن

---

(1) مسند الإمام أحمد جـ ١٥ ص١٢٧.

حفظهم كان كفيلا بحفظ القرآن عن الضياع لكثرة الحفظة من القراء وإنما احتاجوا لجمعه عندما استحر القتل في القراء، وكذلك نقول في الحديث، لأنهم لم يهتموا بجمعه إلا عندما رأوا ضرورة جمع الأحاديث، أما كونها مكتوبة مفرقة كلا يكتب ما تيسر له، فهذا موجودا وما أخذ أصحاب الحديث إلا عن كتب مشايخهم وعن الحفاظ والذى حدث إنما هو الجمع والترتيب والتنسيق، أما الكتابة الفردية فكانت وجودة مع الحفظ[1].

ويمكن التوفيق بين النهى عن الكتابة والسماح بها حين علم الصحابة رضوان الله عليهم الفرق بين القرآن وبين السنة وخصائص كل منهما، بالإضافة إلى أن النهى ربما يكون في كتابة القرآن الكريم والحديث في صفحة واحدة.

يقول الإمام ابن حجر عن هذا التوفيق" أن النبي ﷺ أذن في كتابة الحديث عنه وهو يعارض حديث أبى سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال لا تكتبوا عنى شيئا غير القرآن رواه مسلم والجمع بينهما أن النهى خاص بوقت نزول القرآن خشية التباسه بغيره والإذن في غير ذلك أو أن النهى خاص بكتابة غير القرآن مع القرآن في شيء واحد والإذن في تفريقهما أو النهى متقدم والإذن ناسخ له عند الأمن من الالتباس وهو أقربها مع أنه لا ينافيها وقيل النهى خاص بمن خشى منه الاتكال على

(1) محمد حافظ التجاني: سنة الرسول – هدية مجلة الأزهر شعبان ١٤٢٧هـ ص ٣٤،٣٥ بتصرف

الكتابة دون الحفظ والإذن لمن أمن منه ذلك ومنهم من أعلى حديث أبى سعيد الخدري وقال الصواب وقفه على أبى سعيد قاله البخاري وغيره قال العلماء كره جماعة من الصحابة والتابعين كتابة الحديث واستحبوا أن يؤخذ عنهم حفظه كما أخذوا حفظا[1]

وربما كانت هناك أسباب قوية أدت إلى كتابة الحديث الشريف وتدوينه بالشكل الذى نعرفه اليوم، ومن أهمها كثرة الكذب والوضع في عصر التابعين في الأحاديث والمأثورات وبخاصة حينما حدثت الفتنة بين المسلمين وانقسم المسلمين إلى فرق وشيع ومذاهب.

ومن الباحثين من يرى أن مكانية الوضع في الحديث قد بدأت مبكرة "فلما قبض رسول الله ﷺ لم يعد هناك حارس للسنة إلا صدور الصحابة، فقد انقطع الوحى واشرأب النفاق وارتد كثير من العرب ومنع بعضهم الزكاة فلا نعجب إذا من منافق يملى عليه نفاقه أن يكذب على رسول الله ولا نعجب من بعض العرب الذين يدعون أن رسالة محمد تنتهى بموته، أيعبثوا بحديث رسول الله ولكن أبا بكر وقف وقفة الحيطة والحذر فكلما قلم أظافر المرتدين ومانعي الزكاة كذلك سد الباب في وجوه

(1) الإمام ابن حجر العسقلاني فتح الباري في شرح صحيح البخاري – جـ١ ص٢٠١٨.

الذأبين بما وضعه من قوانين الرواية، وجاء عمر من بعده سائرا على نهجه فأرهب الكذابين وخوف المكثرين[1]

وبالفعل امتثل الصحابة رضوان الله عليهم لأمر أمير المؤمنين وقل الصحابة من الرواية ولا يروى راو إلا بعد التثبيت آخذا الحيطة والحذر. ورب صارة نافعة فلولا ما كان من الوضع والكذب في حديث رسول الله لما رأى العالم من المسلمين مثل هذا العلم النادر في فحص ونقد الرواية التاريخية غلى هذا الحد التي لم يعرف بها في أي حضارة أخرى، ولم يشهد لها التاريخ مثيلا ولا شبيها ولا نظيرا.

وهذا ليس تعصبا ولكنها الحقيقة مجردة، الخالية من الغرض والهوى من الممكن أن نتحراها بأقل مقاييس الموضوعية.

وقد تعامل الصحابة مع السنة الكريمة في منهج التوثيق كما كان مع القرآن الكريم فكان لا يقبل حديثا إلا بشهادة شاهد أو اثنين.

ومنهج الاشتياق الذى اعتمده الصحابة رضى الله عنهم في وقت مبكر بعد ان طوروه إلى الصورة التي جعلت منه خير منهج علمي موضوعي يمكن أن يتوافر عليه البشر، حتى أننا لا نعهد في التاريخ العالمي نبيا أو عظيما بذل في سبيل تحقيق منطوق كلامه وما روى عن أحواله وسيرته بشكل عام ما توفر للرسول الخاتم عليه الصلاة والسلام.

---

(1) الدكتور محمد محمد أبو زهو : الحديث والمحدثون (عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية)- مطبعة مصر ١٣٧٨هـ ص٦٦.

ولا غرابة في ذلك فإن من لوازم الرسالة الخاتمة وصولها نصا سليما وبيانا صحيحا كثمرة للحفظ الرباني لهذا الدين "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون "فقيض الله له من يدفع عنه الشبه ويجلى الحقيقة وينقله بسند متصل على هذا النحو من السلامة والدقة.

ولا شك أن من نعم الله تعالى على هذه الأمة أن كان ظهور الفتنة فيها متوافقا مع وجود جيل الصحابة- حفظة الحديث المشهود لهم من رسول الله، الأمر الذى أدى الى تدوين وتوثيق السنة بحيث تحققت درجة صحة الحديث وحجيته بما لا يدع مجالا لشبهة [1]

وقد كان لكل فرقة من الفرق مذهب سارت عليه وحاولت جاهدة أن تجد له بعض الآيات والأحاديث لتعضد به أدلتها، فإن لم تجد سارعت فى الوضع والكذب على رسول الله وظهر ذلك جليا عند كل من الخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية وغيرها، حتى وقع الاختلاف وكثرت النحل وتقطعت العصم وتعادى المسلمون وكفر بعضهم بعضا وتعلق كل فريق منهم لمذهبه بجنس من الحديث[2]

---

(1) مقدمة تأويل مختلف الحديث – تحقق محمد محيى الدين الأصفر لأبى محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: الدوحة في ١٥/ ذو القعدة ١٤١٨هـ١٤/٣/١٩٩٨م ص ٩.

(2) ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث ص٤٧

حاولت هذه الفرق الوصول إلى تأويلات لأحاديث رسول الله بهدف خداع الناس ببدعهم وخروجهم السافر عن سنة الرسول وعلى الإسلام بصفة عامة، بل زاد صلفهم وعنادهم أن كذبوا على الرسول ﷺ ووضعوا أحاديث كثيرة منسوبة إلى الرسول والله ورسوله منها براء وكان ذلك خدمة لمذاهبهم.

وفى عصر تابع التابعين ازداد خطر الوضع حيث تفشى بصورة مزعجة وتطرق الكثير من الموضوعات الى التفسير والحديث، خادمة لأهواء المبتدعة ونزعات المضللة، فوفق علماء المسلمين ومحدثوهم أمام هذا الخطر موقف حزم وعزم، وتصدوا لهذه المفتريات فكشفوا عن بطلانها وأبانوا للناس كذبها، ولم يقفوا عند هذا الحد، بل وضعوا لرواية الحديث ورواته قواعد وضوابط محررة جعلوها معايير ومقاييس يمكن بواسطتها معرفة المقبول والمردود من الحديث ومن تقبل روايته ومن لا تقبل من الرواة[1]

وعلى أية حال فقد كان ذلك أمرا ضروريا للحفاظ على كنوز السنة الشريفة من الوضع وقد كثرت الفرق وتعددت المذاهب، واختلفن الأهواء، فأحس بهذا الخطر العظيم الذى يحيط بالسنة الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز.

---

(1) الدكتور محمد السيد حسين الذهبي: الإسرائيليات فى التفسير والحديث- هدية مجلة الأزهر ربيع الأول ١٤٢٩هـ جـ١ - ص٥٥

فرأى جمع الأحاديث والسنن وتدوينها تدوينا عاما وذلك خشية أن يضيع منها شيء بموت حافظيها، أو خشية التباس الباطل بالحق، فقد اتسعت رقعة البلاد الإسلامية ودخل في الإسلام من كل جنس ولون، وفى هؤلاء المخلص وغير المخلص، ووجد بعض المرتزقة الذين كان من اغراضهم الإفساد في الدين بالاختلاق والدس فيه ما ليس منه، كما نشأ بعض الخلافات السياسية والمذهبية والجنسية، التي كانت من أسباب اختلاف الأحاديث، وكانت ولاية هذا الخليفة الرشد على رأس المائة- سنة تسع وتسعين من الهجرة- فكتب إلى بعض المبرزين من العلماء في الأمصار وأمرهم بجمع الأحاديث وكتب إلى عماله يأمرهم بذلك[1].

أول من دون الحديث الشريف

تقول الروايات في أن أول من دون الحديث الشريف بأمر من خامس الخلفاء الراشدين، فيذكر الإمام البخاري في باب العلم "كيف يقبض العلم" أن أبا بكر بن حزم هو أول من دونن حديث النبي ﷺ فيقول : وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى أبى بكر بن حزم: انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث

(1) د/ محمد محمد أبو شهبة: الكتب الصحاح الستة ص٢١.

النبي ﷺ "ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا"[1]

حدثنا العلاء بن عبدالجبار قال : حدثنا عبدالعزيز بن مسلم، عن عبدالله ابن دينار : بذلك، يعنى حديث عمر بن عبدالعزيز، غلى قوله ذهاب العلماء فاكتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ "ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا "رواه الإمام البخاري في صحيحه باب العلم

ومن العلماء من قال بأن أول من دون وكتب حديث النبي ونال هذا الشرف العظيم بأمر من عمر بن عبدالعزيز هو ابن شهاب الزهري وهذا هو المشهور بين أهل الحديث، ويؤكد ذلك الإمام ابن حجر العسقلاني في شرح لصحيح البخاري "باب العلم " وكيف امر النبي في مرضه بكتاب يمليه عليهم لن يضلوا بعده أبدا، لكن حدث النزع بين الصحابة فيقول : عن ابن عباس قال : لما اشتد بالنبي ﷺ وجعه قال "أتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده" قال عمر إن النبي ﷺ غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا. فاختلفوا وكثر اللغط" قوموا عنى، ولا ينبغي عندي التنازع" فخرج ابن عباس يقول" إن الرزية كل الرزية، ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه".

([1]) الإمام البخاري صحيح البخاري باب العلم جـ١. ص.٢١

يقول افمام ابن حجر في شرحه لهذا الحديث الشريف مبينا سبب أمر الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز لأبن شهاب الزهري "لكن لما قصرت الهمم وخشى الأئمة ضياع العلم دونوه وأول من دون الحديث بن شهاب الزهري على رأس المائة بأمر عمر بن عبدالعزيز ثم كثر التدوين ثم التصنيف وحصل بذلك خير كثير فلله الحمد" (١)

ويمكن الجمع بين الروايتين السابقتين في أول من دون الحديث الشريف في عهد عمر بن عبدالعزيز، هل هو أبو بكر بن حزم، أم ابن شهاب الزهري؟

إن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لما رأى أن الأمر عظيم وجليل للحفاظ على السنة المطهرة، وكما أن الخطر المحدق بها من الوضع والكذب خطير، وكان أبرزها الحفاظ في هذه الطبقة من التابعين لسنة النبي ﷺ فى عهده ابن شهاب الزهري، وابا بكر بن حزم، لذا تم تكليفهما بتدوين الحديث الشريف، وقد أخذ هذان الشيخان عن كبار التابعين.

"وجمعت السنة مما كتب الكاتبون، وحفظ الحافظون، وقد أخذ هؤلاء الأئمة عن كتب شيوخهم، وعن الحفاظ الذين اكتفوا بالحفظ، فعمر بن

(١) الإمام ابن حجر العسقلاني فتح الباري في شرح صحيح البخاري – جـ١ ص٢٠٨ شرح حديث لأبى هريرة: "مأمن أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثا عنه منى"

عبدالعزيز **من التابعين، وأبو بكر بن حزم من التابعين، وشهاب الدين الزهري من التابعين وجمع السنة أقرانهم وأول من جمع السنة وألف الكتب :**

-ابن جريج (متوفى سنة ١٥٠هـ)

- وابن إسحاق (متوفى سنة١٥١هـ) بمكة

- مالك (متوفى سنة ١٧٩هـ) بالمدينة.

- الإمام أبو حنيفة (متوفى سنة ١٥٠)

- سفيان الثوري (متوفى سنة١٦١) بالكوفة

-الربيع بن صبيح (متوفى سنة ١٩٠)

سعيد بن أبى عربة (متوفى سنة ١٥٦)

حماد بن سلمة (متوفى سنة ١٧٦) بالبصرة.

معمر (متوفى سنة ١٧٣) باليمن

جرير بن عبدالحميد (متوفى سنة ١٨٨)

الأوزاعي (متوفى سنة ١٥٨) بواسط

ابن مبارك (متوفى سنة ١٨١) بخراسان.

وكان هؤلاء جميعا في عصر واحد .

وقد ألفت الكتب على أوجه متعددة وبعد ان كان يؤلف البعض بابا يذكر فيه الطلاق كما فعل الشعبي أو أي باب من أبواب الفقه، جمعت الأبواب والأحكام كالموطأ جمع بين الحديث وفتاوى الصحابة وقد توخى فيه القوى من حديث أهل الحجاز وزجه بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ومن بعد(١)

ثم حدث تطور أخر في تدوين السنة المطهرة وهو تدوين الحديث منفردا عن أقوال الصحابة وفتاوى التابعين، وقد سمى هذا العصر بالعصر الذهبي لتدوين الحديث الشريف.

العصر الذهبي لتدوين الحديث الشريف (٢٠٠-٣٠٠ هـ)

كان القرن الثالث الهجري من أهم القرون التي تم فيها تدوين وتصنيف الحديث الشريف، وقد تنوعت المؤلفات وتعددت المصنفات واستخرجت المسانيد وبرزت الأئمة والحفاظ.

ومن هؤلاء المؤلفون منهم من ألف على المسانيد وذلك بأن يجمع المؤلف أحاديث كل صحابي على حدة من غير تقييد بوحدة الموضوع،

(١) محمد الحافظ التجاني: سنة الرسول ص ١٠٦، ١٠٧

فحديث الصلاة بجانب الزكاة وأصحاب هذه الطريقة منهم من رتب الصحابة على حسب السبق في الإسلام.

فقدم العشرة المبشرين بالجنة، ثم أهل بدر، ثم أهل الحديبية، ثم من أسلم وهاجر بين الحديبية والفتح، ثم من أسلم يوم الفتح، ثم أصاغر الصحابة سنا، ثم النساء الروايات.

وخير من يمثل هذا ألون في التأليف في هذا العصر الإمام الجليل أحمد بن حنبل في مسنده المشهور.

وممن ألف على المسانيد أيضا إسحاق بن راهويه (المتوفى سنة ٢٣٨ هـ)

وعثمان بن أبى شيبة (المتوفى سنة ٢٣٩هـ)، ويعقوب ابن أبى شيبة (المتوفى سنة٢٦٣ هـ) ومنهم من رتبهم على حروف العجم وخير من يمثل هذه الطريقة بعد هذا العصر الإمام أبو القاسم الطبري (متوفى سنة ٢٦٠ هـ) في كتابه المعجم الكبير.

ومن أهل هذا العصر من ألف على الأبواب الفقهية ونحوها فيبدأ بكتاب الصلاة ثم الزكاة وكذا، واصحاب هذه الطريقة منهم من تقيد في تأليفه بالأحاديث الصحاح كالإمامين البخاري ومسلم، ومنهم من لم يتقيد بالصحيح بل ذكر الصحيح والحسن بل والضعيف مع التنبه على درجة الحديث أحيانا، ويمثل هذه الطريقة أصحاب السنن الأربعة، أبوداود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

وقد كان القرن الثالث الهجري هو العصر الذهبي في تاريخ السنة وجمعها ففيه ظهر كبار أئمة الحديث ونقاده، وفيه أشرقت شموس الكتب الستة وأمثالها التي تشتمل على ما ثبت من الأحاديث، ولا يغيب عنها إلا النذر اليسير، والتي يعتمد عليها الفقهاء والمجتهدون والعلماء والمؤلفون، ويجد فيها طلبتهم الهداة والمصلحون [1].

وقد قيد الله تعالى لسنة نبيه، من سعى جاهدا للحفاظ عليها، بجهود مخلصة، في كل عصر، وفى كل مصر، بتوفيق الله ورعايته وهدايته لهؤلاء الأعلام، وذلك بوضع أعظم المناهج العلمية في الجرح والتعديل وتحرى الرواية والرواة، وهى الشارحة للقرآن الكريم، والموضحة والمبينة لأحكامه ومعانيه، وكما ذكر الأولون أن القرآن أشد احتياجا للسنة، من السنة للقرآن.

(1) د/ محمد محمد أبو شبهة: الكتب الصحاح الستة ص٣٥،٣٦ بتصرف

الفصل الثاني
تقسيم الحديث إلى مكى ومدنى

- المكي والمدني في القرآن الكريم
- تقسيم الحديث إلى المكي والمدني
- كيف يتم تقسيم الحديث إلى مكى ومدنى؟
- العلوم التي تساعد على تصنيف المكي والمدني في الحديث النبوي.

المكي والمدني في القرآن الكريم:

قبل التطرق إلى مفهوم المكي والمدني في الحديث النبوي، وهذه الرؤية هي أقرب ما تكون إلى المكي والمدني في القرآن الكريم، ومن ثم نبين بإيجاز المكي والمدني في القرآن الكريم لتوضيح هذا المعنى، حيث لهذا القسم أهمية كبرى في علوم القرآن وفهم ما نزل أولا وما نزل آخرا، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، وغير ذلك من العلوم والمعارف التي حاول المسلمون الأولون فيها الوصول إلى إدراك ما في كتاب الله من أسرار ودلالات.

لم يؤثر عن الرسول ﷺ في خبر أو في حديث من أحاديثه الشريفة أنه قسم القرآن الكريم إلى مكى ومدنى، كذلك الصحابة رضوان الله عليهم لم يأت منهم من خبر بأنهم قسموا القرآن مثل هذا التقسيم. يقول الإمام الباقلاني عن عدم نقل هذا العلم متواترا عن الصحابة، كما أن عدم معرفة المكي والمدني في القرآن من آحاد الناس لا يضر أو يقدح في إيمانه فيقول:

لم يلزم أيضا أن ينقل عن الصحابة نقلا متواترا ذكر المكي والمدني، ولم يجب أيضا على الصحابة وعلى كل داخل الإسلام بعد الهجرة وعند مستقر النبي ﷺ في المدينة أن يعرف أن كل آية أنزلت قبل إسلامه مكية أو مدنية، يجوز أن يقف في ذلك أو يغلب على ظنه أحد الأمرين، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما توهموه من وجوب نقل هذا وشهرته

في الناس ولزوم العلم به لهم والتفريط بالتخلف عن علمه ووجوب ارتفاع الخلاف والنزاع فيه[1]

ولكن احتياج المسلمين إلى فهم ما نزل من القرآن اولا، وما نزل منه آخرا ومعرفة الناسخ والمنسوخ، جعلهم بتوفيق الله لهم أن هداهم إلى ذلك العلم وهو من العلوم التوفيقية، بخلاف ما نبه الرسول عليه كوضع الآيات والسور فهذا من الأمور التوفيقية التي يتوقف فيها المرء على ما تركه النبي ﷺ دون تدخل فيه أو اجتهاد منه، ومن الممكن أن ندرك بعض الأسباب والحكم لهذا الترتيب ولترتيب بعض السور في المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفي صادر عن حكيم:

أحدها: بحسب الحروف كما في الحواميم

ثانيا: لموافقة أول السور لآخر ما قبلها كآخر الحمد في المعنى وأول البقرة.

ثالثا: للوزن في اللفظ كآخر تبت وأول الإخلاص.

رابعا: لمشابهة جملة السورة لجملة أخرى مثل: " والضحى" و" ألم نشرح"[2]

---

(1) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى٤٠٣هـ) الانتصار للقرآن تحقيق: د. محمد عصام القضاة الناشر دار الفتح – عمان، دار بن حزم- بيروت الطبعة الأولى١٤٢٢هـ – ٢٠٠١ج١ص ٢٤٨

(2) بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي (المتوفى ٧٩٤هـ) البرهان في

ومن العلماء من جعل ترتيب السور ليست من الأمور التوقيفية، وقد استدل على ذلك باختلاف ترتب السور في مصاحف الصحابة، فمنهم من رتبها كترتيبها الآن ومنهم من رتبها بحسب النزول كعلى رضى الله عنه، ومنهم من ابتدأها من البقرة ثم النساء كابن مسعود، يقول صاحب الإتقان في علوم القرآن قال ابن فارس: جمع القرآن على ضربين أحدهما تأليف السور كتقديم السبع الطوال وتعقيبها بالمئين فهذا هو الذى تولته الصحابة.

وأما الجمع الآخر وهو جمع الآيات في السور فهو توقيفي، تولاه النبي ﷺ كما أخبر به جبريل عن أمر ربه، ومما استدل به لذلك اختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور، فمنهم من رتبها على النزول وهو مصحف على، كانا وله اقرأ، ثم المدثر، ثم المزمل، ثم تبت، ثم التكوير، وهكذا إيل آخر المكي والمدني، وكان أول مصحف ابن مسعود البقرة ثم النساء ثم آل عمران على اختلاف شديد، وكذا مصحف أبى وغيره

وأخرج ابن اشته في المصاحف من طريق إسماعيل بن عياش عن حبان ابن يحيى عن أبى محمد القرشي قال: أمرهم عثمان أن يتابعوا الطوال

علوم القرآن المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم – الطبعة : الأولى،١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبى وشركائه عدد الأجزاء:٤–ج١ ص٢٦٠

فجعلت سورة الأنفال وسورة التوبة في السبع ولم يفصل بينهما ب بسم الله الرحمن الرحيم[1]

وهذا الأمر يدل – عند مم رأى ذلك على أن ترتيب السور في المصحف من الأمور التوفيقية، بحيث اجتهد كل صحابي كتب القرآن، أو كان معه نسخه منه أن يرتب السور باجتهاد، لأنه لم يعلم أن في ترتيب المصحف نصا أو اثرا يقف عليه من رسول الله، لكن الأشهر أن ترتيب السور في القرآن الكريم توقيفي والله أعلم.

اختلاف العلماء في تحديد المكي والمدني في القرآن الكريم

وقد اختلف أهل العلم فيما بينهم في تحديد المكي والمدني.هل يتم التقسيم باعتبار المكان بحيث يقال أن المكي ما نزل بمكة، وأن المدني ما نزل بالمدينة، فماذا يطلق عليها، أم يتم التقسيم بحسب زمن هجرة صلى الله عليه وسلم، فما نزل قبل الهجرة فهو مكى وإن كان بالمدينة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة وهذا هو أحسن الأقوال وأشهرها.

---

(1) عبدالرحمن بن ابى بكر، جلال الدين السيوطي(المتوفى ٩١١هـ) الإتقان في علوم القرآن المحقق : محمد ابو الفضل إبراهيم – الناشر: الهيئة المصرية لعامة للكتاب – الطبعة:١٣٩٤هـ/١٩٧٤ ج١ ص ٢١٦

يقول صاحب البرهان في علوم القرآن في معرفة المكي والمدني وما نزل بمكة والمدينة وترتيب ذلك ومن فوائده معرفة الناسخ والمنسوخ والمكي أكثر من المدني "اعلم ان الناسفين ذلك ثلاثة اصطلاحاتذ٢:

أولا: أن المكي ما نزل بمكة والمدني ما نزل بالمدينة

الثاني: وهو المشهور أن المكي ما نزل قبل الهجرة، وإن كان بالمدينة والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة.

الثالث: أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة عليه يحمل قول ابن مسعود الآتي لأن الغالب على أهل مكة الكفر فخوطبوا يأيها الناس، وإن كان غيرهم داخلا فيها، وكان الغالب على أهل المدينة الإيمان فخوطبوا يأيها الذين آمنوا وإن كان غيرهم داخلا فيهم.

وذكر الماوردي أن البقرة مدنية في قول الجميع إلا آية وهى "واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون" ٢٨١ فإنها نزلت يوم النحت فى حجة الوداع بمنى[١]

وكان الصحابة والتابعون أعرف الناس بمكان نزول القرآن، واكثرهم به علما وأحرصهم عليه حفظا.

وقد أخرج البخاري عن ابن مسعود أنه قال: والذى لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله تعالى إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت.

---

(١) الامام الزركشى : البرهان فى علوم القرآن ج١ ص ١٨٧

وقال أيوب: سأل رجل عكرمة عن آية من القرآن فقال: نزلت في سفح ذلك الجبل" وأشار غلى سلع أخرجة أبو نعيم في الحلية.

قال ابن سعد في الطبقات: أنبأنا الواقدي حدثني قدامة بن موسى عن أبى سلمة **الحضرمي سمعت ابن عباس قال :** سألت أبى بن كعب عما نزل من القرآن بالمدينة فقال نزل بها سبع وعشرون سورة وسائرها بمكة.[1]

وقد روى شعبة عن قتادة ويزيد النحوي عن عكرمة والحسن بن ابى الحسن قال : قال قتادة "إن الذى أنزل بالمدينة البقرة وآل عمران والنساء و المائدة وآية من الأعراف "واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر" والأنفال و الرعد، غير أن فيها مكيا " ولو أن قرآنا سيرت به الجبال " إلى أخرها، ومن إبراهيم " ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار "إلى أخر السورة، والحج غير أربع أيات .

أولهن: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ O[الحج"٥٢]

إلى قوله: ﴿ **وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ**O [الحج: ٥٥]

([1]) السيوطى: الاتقان فى علوم القرآن ج١ ص٣٨

والنور وعشرة من العنكبوت، والأحزاب والحمد والفتح والحجرات والرحمن والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون ويا أيها النبي إذا طلقتم النساء"[١]

وقد حدد العلماء خصائص لكل من المكي والمدني ففي القرآن الكريم حاولوا من خلالها وضع بعض الضوابط للتمييز بين المكي والمدني في القرآن الكريم.

يقول صاحب البيان في عد آي القرآن – باب ذكر المكي والمدني من القرآن:

أخبرنا سلمون بن داود القروى قال أنا محمد بن عبدالله بن إبراهيم قال أنا محمد بن بشر بن مطر قال أنا ابن بلال قال أنا قيس بن الربيع عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبدالله قال كل شيء في القرآن "يا أيها الناس" أنزل بمكة وكل شيء في القرآن " يا أيها الذين آمنوا " أنزل بالمدينة.

قال الحافظ اخبرنا خلف بن إبراهيم قال أنا أحمد بن محمد قال أنا على بن عبدالعزيز، قال أنا القاسم بن سلام، قال أنا أبو معاوية عن خلف بن هاشم عن أبيه قال: ما كان من حد أو فريضة فإنه أنزل بالمدينة وما كان من ذكر الأمم والعذاب فإنه أنزل بمكة"[٢]

---

(١) الباقلانى: الانتصار للقرآن ج١ ص٢٤٨

(٢) عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الدانى (المتوفى ٤٤٤هـ)البيان

وهذه الخصائص هي التي تغلب على طريقة الخطاب في المكي والمدني في كثير من الأحيان، يقول صاحب " مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور " تحت عنوان ضابط المكي والمدني " كل ما نزل قبل الهجرة فهو مكى. وكل ما نزل بعدها فهو مدنى، ولو كان النبي ﷺ وقت نزوله في بلد أخرى.

قال الإمام برهان الدين الجعبري، المقرئ الشافعي، في كتابه" حسن المدد في معرفة العدد" ولمعرفته طريقان: سماعي وقياسي فالسماعي: ما وصل إلينا نزوله بإحداهما

والقياسي: قال علقمة عن عبدالله : كل سورة فيها يا أيها الناس" فقط بخلاف الحج، أو "كلا" أو أولها حرف تهج، سوى الزهراوين، والرعد في وجه، أو فيها قصة آدم عليه السلام، وإبليس أعادنا الله منه- سوى الطولي -فهي مكية، وكل سورة فيها "يا أيها الذين آمنوا " فقط، أو ذكر المنافقين فهي مدنية"[1]

في عد آ ي القرآن – المحقق غانم قدوري الحمد – الناشر مركز المخطوطات والتراث- الكويت الطبعة الاولى ١٤١٤ هـ -١٩٩٤ ج١ ص:١٣٢

(١) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن على بن أبى بكر البقاعى (المتوفى: ٨٨٥هـ) مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور ويسمى: المقصد الأسمى فى مطابقة اسم كل سورة للمسمى: دار النشر : مكتبة المعارف – الرياض الطبعة : الاولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧ م ج١ ص ١٦١

أن معرفة هذا العلم من أشرف العلوم وأجلها، ولا يتم للمرء علم أو معرفة بكتاب الله تعالى إلا من خلال دراسته والتمييز بين تلك الوجوه. وينقل الإمام الزركشى عن كتاب التنبيه للنيسابورى عن فضل ذلك العلم وإحصاء الوجوه المحتملة بين المكى والمدنى فى القرآن الكريم، فيقول : " قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابورى فى كتاب التنبيه" على فضل علوم القرآن من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته وترتيب ما نزل بمكة ابتداء ووسطا وانتهاء وترتيب ما نزل بالمدينة كذلك ثم ما نزل بمكة وحكمه مدنى وما نزل بالمدينة وحكمه مكى وما نزل بمكة فى أهل المدينة وما نزل بالمدينة فى أهل مكة ثم ما يشبه نزول المكى فى المدنى وما يشبه نزول المدنى فى المكى ثم ما نزل بالجحفة وما نزل ببيت المقدس وما نزل بالطائف وما نزل بالحديبية ثم ما نزل ليلا. وما نزل نهارا وما نزل مشيعا ومانزل مفردا ثم الآيات المدنيات فى السور المكية والآيات المكية فى السور المدنية ثم ما حمل من مكة إلى المدينة وما حمل من المدينة إلى مكة وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة ثم ما نزل مجملا وما نل مفسرا وما نزل مرموزا ثم ما اختلفوافيه فقال بعضهم مدنى هذه خمسة وعشرون وجها من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم فى كتاب الله تعالى"[1]

(1) الإمام الزركشى : البرهان فى علوم القرآن ج١ ص١٩٢

كان على الباحث لزاما أن يذكر بوجوه المكى والمدنى فى القرآن الكريم، لأن هذه الرؤية الجديدة فى طرح المكى والمدنى فى الحديث النبوى، قريبة الصلة إلى حد كبير بالمكى والمدنى فى القرآن الكريم

تقسيم الحديث إلى المكى والمدنى

تبين من خلال ما سبق من توضيح كيف تم تدوين الحديث الشريف، وإن أول تدوين للحديث كان بين يدى النبىﷺ، ثم حفظ الصحابة رضوان الله تعالى عليهم الحديث فى صدورهم وفى سطورهم، شأنه فى ذلك شأن القرآن الكريم، إلا أن تدوين الحديث بالشكل المعروفجاء متأخرا حينما زاد خطر الوضع وموت كثير من الصحابة والتابعين، ثم الخوف من اندثار السنة، الأمر الذى دعى الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز إلى الإسراع فى الحفاظ على السنة بتدوينها، ثم بدأ التصنيف والتبويب ووضع المسانيد بعد ذلك، وقد كان القرن الثالث هو القرن الذهبى للتدوين، ووضع المنهج الأمثل فى الجرح والتعديل ونقد الرواية والتثبيت منها،وقد برز فيه أعلام المحدثين وأئمتهم وساهم علماء المسلمين على مر الزمان فى الحفاظ على السنة المطهرة بالنقل تارة، والشرح لها تارة آخرى، وبإحيائها بشتى الطرق والسبل المتاحة لهم فى ذلك، لأن فى إحيائها إحياء للدين والسؤال مرة آخرى؟

لماذا لم يتم تصنيف وتقسيم السنة إلى مكى ومدنى، كما هو الأمر مع القرآن الكريم؟

وهل فات الأولين الحديث عن هذا الأمر؟ وهل لو تم ذلك يكون مخالفا لمعلوم من الدين بالضرورة؟ وهل فى ذاك المسعى مساواة السنة بالقرآن؟ كيف يتم تحديد هذا التقسيم هل بمعرفة المكان؟ أو بمعرفة طريقة الخطاب؟ أم يتم التقسيم حسب الزمان؟ وما هو الزمان المعتبر لهذا التقسيم؟ وهل هناك علوم من الممكن أن تساعد فى تأسيس المكى والمدنى فى الحديث النبوى؟ وهل يمكن وضع بعض الضوابط للتمييز بين المكى والمدنى فى الحديث النبوى؟ وما الفوائد المرجوة من وراء ذلك العلم؟

من خلال حديثى السابق عن المكى والمدنى فى القرآن الكريم- وقد سقته للاستشهاد به- تبين أن القرآن ينقسم إلى قسمين وهذا متفق عليه أهل العلم:

الأول التوقيفى: كوضع الآيات وترتيبها فى القرآن، بأمر من النبىﷺ، فيقول النبىﷺ، ضعوا هذه الآية فى سورة كذا بعد آية كذا فلا يصح لأحد أن يجتهد فى أمر توقف فيه العلم، وحدده النبى بأمر من الله، يقول ابن عباس: كان النبىﷺ، لا يعرف ختم السورة حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم

الثاني التوفيقي: كالمكي والمدني ووضع الأجزاء والأحزاب والأرباع إلى غير ذلك من الأمور التي اجتهد فيها العلماء بتوفيق الله تعاليهم وبارك في مسعاهم، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين ما يستحقون به المثوبة عند ربهم.

ومن ثم فإذا جاز وضع تقسيم في القرآن إلى مكى ومدنى وهو المصدر الأول وهو الوحى المنزل، وهو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقد حسن فيه وضع ضوابط وقواعد تسهل من معرفة أول ما نزل منه وآخر ما نزل ومعرفة الناسخ والمنسوخ، كذلك معرفة مكان وزمان نزوله وذلك لقدسيته ومنزلته العظيمة والجليلة في نفوس المسلمين.

فمن باب أولى جواز ذلك الأمر فى الحديث النبوى وتقسيمه إلى مكى ومدنى فهو الوحى المنزل على قلب رسول الله ﷺ وهو الحكمة التى تبين مقاصد القرآن الكريم، وتفصيل لما أجمل، وتوضيح ما أبهم، وتقيد المطلق وبيان حكم مسكوت عنه، أو نسخ حكم نزل به القرآن.

ولا غضاضة من السعى إلى استحداث علم يضاف إلى علوم أخرى فى السنة النبوية ربما يرجى منه نفع، أو إضافة إلى فهم، نكون إليه أكثر احتياجا، فى توضيح بعض المسالك التى تغيب عن بعض الأذهان، فى فهم وإدراك السنة النبوية المطهرة وتحديد زمن قول النبىﷺ ومكانه، فكلما كان هذا الأمر ممكنا، كنا أكثر إدراكا لمقصد النبىﷺ فى قوله وفعله وتقريره، وليس من العيب الكلام فى أمر لم يتكلم فيه السابقون، أو أهل الفضل من العلماء. ربما يكون لعدم احتياجهم لمثل هذا العلم، كما كان بين الصحابة والتابعين من عدم تقسيم القرآن الكريم غلى مكى

ومدنى فلم يؤثر عن أى منهم أن تكلم فى هذا الأمر، فى حين أصبح هذا العلم لاغنى عنه عند المسلمين فيما بعد ذلك.

كما أن تدوين السنة مع حفظهم لها وإدراكهم قدسيتها، لم يتم فيها التدوين بالشكل الكامل والمعروف لدى المسلمين اليوم.

وحين علم عمر بن عبدالعزيز أن فى تدوينها محافظة عليها، أمر بذلك فى كل الأقطار وتتابع التدوين والتصنيف، ولو كان فى استحداث هذا الأمر مخالفة لمنزلة القرآن وقدسيته، لم تتفق عليه الأمة.

كما فى علم الحديث. لو أن الإمام مسلم توقف على ما جمعه الإمام البخارى فى صحيحه، ورأى فيه الكفاية لم نرى منه هذا العلم الفياض وإخراجه لصحيحه لينفع الله به المسلمون فى كل عصر ومصر ويخدم به السنة المطهرة والإسلام، مع العلم أن الإمام مسلم تلميذ للإمام البخارى، فلم ير الإمام مسلم غضاضه فى استحداث صحيح للسنة غير صحيح البخارى ولم ينكر عليه افمام البخارى مثل ذلك المسعى.

وقياسا على ما سبق لذا ينطبق هذا الأمر على المكى والمدنى فى الحديث النبوى.

لكن لماذا لم يتم التأليف والكتابة فى مثل هذا التصنيف فى الحديث الشريف؟ ولماذا لم يتطرق إليه السابقون؟

عدة احتمالات لعدم تقسيم الحديث إلى مكى ومدنى

توجد عدة احتمالات يمكن تخيلها من الممكن أن تكون سببا فى عدم تصنيف الحديث الشريف وتقسيمه الى مكى ومدنى منها:

أولا: لانشغالهم بالتدوين والتبويب ووضع قواعد علم الرواية والدراية والجرح والتعديل وشرح الحديث الشريف، ربما كانت هذه الأمور هى سبب مباشر فى الانصراف عن تقسيم الحديث الى مكى ومدنى

ثانيا: الخوف من خلط الأمر عند البعض بين القران والحديث فى تقسيم الى مكى ومدنى، كما كان مثل الخوف فى كتابة الحديث مع القران فى بداية أمر الرسالة ثم فى عهد الصحابة و التابعين، فكان لابد من التمييز فى التقسيم، حتى ينحصر الأمر على المكى والمدنى فى القران دون الحديث الشريف، ويبقى المكى والمدنى خاصا بالقران وحده.

ثالثا: ربما لعدم مساواة السنة المطهرة وهى المصدر الثانى، بالقران وهو المصدر الاول فى كل العلوم، ومشاركة السنة المطهرة للقران فى القدسية على ما فيها من أحاديث صحيحة وحسنة وضعيفة، وأن القران الكريم ليس فيه مثل ذلك الأمر، بالاضافة الطريقة نظمه، ووجوه إعجاز المختلفة، والتعبد بتلاوته، وعدم تلاوته بالمعنى دون اللفظ.

فى مقابل السنة، فيها أحاديث صحيحة وحسنة وضعيفة، ويصح روايتها بالمعنى دون اللفظ، فهل يجوز تصنيف السنة المطهرة الى مكى ومدنى ومساوتها بالقران الكريم فى هذا الامر؟

الرد على هذه الاحتمالات وتفنيدها:

أولا: كان انشغال السابقين بالتدوين والتبويب والجرح والتعديل وعلوم الرواية والدراية التى اسدت خدمات جليلة، فلا مانع بعد ما عرف الناس هذه العلوم وشيوعها وذيوعها، وجنى الخير منها،أن نبدأ فى مثل ذلك التقسيم طالما أن الأمر مسموحا به، ويرجى منه فائدة، خدمة للسنة المطهرة.

ثانيا: حين عرف السلمون الوحى المنزل على رسول الله وفرقوا بين القران والسنة ثم أذن النبى ﷺ بكتابة الحديث لأصحابه رضوان الله عليهم، وهم يعرفون ما هو الحديث الشريف، وما هو القران الكريم فلا خلط بين القران والسنة فى مثل ذلك، ولا خوف من مشاركة الحديث للقران فى المكى والمدنى.

ثالثا: باتفاق المسلمين فان السنة المطهرة هى وحى من الله تعالى نزل على النبىﷺ قال تعالى فى سورة النجم ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١٨) أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى (١٩)**﴾ [وفى سورة آل عمران] ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**

 [آل عمران ١٤٦] وقال تعالى ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ [الشورى : ٥١]

وأخرج الدرامى قال " كان جبريل ينزل بالسنة كما ينزل بالقران"

وروى الإمام احمد فى مسنده عن المقداد بن معد يكرب الكندى قال رسول الله "ألا إنى أوتيت القران ومثله معه، ألا إنى أوتيت القران ومثله معه،ألا يوشك رجل ينثنى شبعانا على أريكته يقول عليكم بالقران فما وجدتم فيه من حلال فحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه"

وطرق الوحى بالسنة المطهرة السابقة والتى يشرح الإمام شمس الدين الأسفيرنى بشكل تفصيلى فى كيفية الوحى ونزوله على رسل الله، فيقول فى شرحه المجالس الزكية فى شرح حديث خير البرية" لصحيح الإمام البخارى بأن الوحى على قسمين الاول ‘لامى والثانى إقرارى ثم ذكر طرق الوحى بالسنة على سبعة انواع.

وإذا كانت السنة هى أيضا وحى من عند الله، فلا داعى لذلك الخوف من مثل ذاك التقسيم الى مكى ومدنى فى الحديث النبوى، فى حين قسم القران وهو الأكثر قداسة.

كما أن علوم الحديث الشريف بينت الصحيح من الضعيف فى السنة، ووضعت له القواعد المعروفة لدى أهل التخصص، فمن الممكن

أن نبدأ بالصحيح من الحديث كصحيح البخارى ثم صحيح مسلم مثلا، حتى ننتهى من تطبيق المكى والمدنى على كافة الأحاديث الصحيحة.

رابعا: وربما ذكر مثل هذا التقسيم وهذا التثنيف للحديث ولم ينقل ولم ينشر كما حدث ذلك فى بعض العلوم، فيتوهم الناس أن هذا التصنيف وهذا التقسيم جديد، ولكن الحقيق لم نقف على شىء من ذلك، مع سؤال أهل العلم والفضل والتخصص فى علم الحديث، فلم يسبق أن صنف فى الحديث ما هو مكى وما هو مدنى، وأقفوا هذا الأمر على القران الكريم فقط دون الحديث.

خامسا: لا غرابة فى استحداث رؤية مكملة لبعض العلوم على غرار منهاهج علوم أخرى، ومثل ذلك ان علم أسباب ورود الحديث أنما جاء على منهج على أسباب النزول فى القران الكريم، والإمام السيوطى(المتوفى٩١١هـ) فى كتابه المع فى أسابا ورود الحديث ذكر هذا الأمر واضحا فى سبب تأليفه للكتاب فقال " فإن من أنواع علوم الحديث معرفة أسبابه كأسباب نزول القران وقد صنف فيه الأئمة كتبا فى أسباب نزول القران واشتهر منها كتاب الواحدى وله فيه تأليف جامع يسمى" لباب النقول فى أسباب النزول" وأما اسباب الحديث فألف فيه بعض المتقدمين ولم نقف عليه، وإنما ذكروه فى ترجمته، وذكره الحافظ أبو الفضل ابن حجر فى " شرح النخبة" وقد أحببت أن أجمع فيه كتابا فتتبعت جوامع

الحدى، والتقطت منها نبذا وجمعتها فى هذا الكتاب، والله الموفق والهادي للصواب[١]

ثم يذكر الإمام السيوطى ما نقله عن الإمام القشيرى، الذى أورد مثل ذلك السبب فى شرح العمدة للتصنيف فى علم سبب ورود الحديث. قال الشيخ أبو الفت القشيرى المشهور بابن دقيق العيد رحمه اله فى شرح العمده فى الكلام على حديث "إنما الاعمال بالنيات" فى البحث التاسع : شرع بعض المتأخرين من أهل الحديث فى تصنيف أسباب الحديث كما صنف فى أسباب النزول للكتاب العزيز فوقفت من ذلك على شىء يسير له [٢] فإذا كان هذا الاستحداث سوف يثمر عن أمر يضيف لبنة فى بناء علم، فلا بأس منه ولا غرابة فيه، طالما كان هناك مكان للاجتهاد.

(١) عبد الرحمن بن ابى بكر، جلال الدين السيوطى اللمع فى أسباب ورود الحديث – مكتب البحوث والدراسات فى دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع– الطبعة الاولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م ج١ ص٢٨.

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

كيف يتم تقسيم الحديث الى مكى ومدنى ؟

من خلال دراسة علوم القران الكريم نتبين أن المكى والمدنى فى القران الكريم يوضح عدة أمور وهى:

١- أن المكى والمدنى فى القران من الأمور التوفيقية التى قام فيها علماء المسلمين بجهد كبير بتوفيق الله لهم وذلك ليتم حفظ كتاب الله تعالى فى السطور كما حفظوه فى الصدور.

٢- أنه لم يات نص أو حديث لرسول الله حدد فيه مثل ذلك التقسيم فى القران كما لم يتكلم فى تقسيم سور القران الى مكى ومدنى أحد من الصحابة ولا التابعين رضوان الله عليهم جميعا

٣- اختلاف العلماء فى كيفية التقسيم الى مكى ومدنى، فهل المكى هو ما نزل بمكة والمدنى هو مانز بالمدينة وذلك باعتبار المكان، او يكون التقسيم على أساس الخطاب فيكون المكى ما وقع خطابا لأهل مكة والمدنى ما وقع خطابا لأهل المدينة، أو يكون التقسيم باعتبار الزمان فالمكى ما نزل قبل الهجرة، وان كان بالمدينة والمدنى ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة، وهذا هو المعتمد والمشهور عند أهل العلم.

وما كان لتقسيم الحديث الشريف الى مكى ومدنى حسب هذه الرؤية الجديدة أن يخرج عن مثل هذه الأمور فهو من الأمور التوفيقية التى من الممكن أن يقوم العلماء فيه بجهد كبير، خدمة للسنة المطهرة..

كذلك لم يات لتقسيم الحديث الشريف الى مكى ومدنى نص أو أثر ولو كان فيه ذلك لما تركه علماء المسلمين حتى الآن دون هذا التقسيم.

كما يمكن الاختلاف بين العلماء فى كيفية التقسيم الى مكى ومدنى فى الحديث كما سبق، وكان هذا الأمر مباحا فى تقسيم القران، فمن الممكن أن يكون التقسيم على ثلاث اعتبارات : طريقة الخطاب، المكان، الزمان

أولا: طريقة الخطاب

فإذا كان الحديث خطابا لأهل مكة فهو المكى وغن قاله النبىﷺ بالمدينة، أو إن كان الحديث الشريف خطابا لأهل المدينة فهو مدنى وإن قاله النبىﷺ فى مكة.

ثانيا اعتبار المكان:

فالحديث الذى قاله النبى ﷺ أو الفعل الذى فعله فى مكة يكون مكيا، والحديث الذى قاله النبى ﷺأو الفعل الذى فعله فى المدينة يكون مدنيا.

ثالثا اعتبار التقسيم بحسب الزمان :

فيكون ماقاله النبىﷺ من حديث شريف أو فعلهﷺ قبل الهجره فهو مكى ويكون ما قاله النبىﷺا من حديث شريف أو فعلهﷺ بعد الهجرة هو الحديث المدنى.

ويمكن الأخذ فى العتبار الأقسام الثلاثة السابقة فى تقسيم الحديث الى مكى ومدنى وذلك بحسب الحاجة.

فطريقة خطابه ﷺ، ولمن وجه خطابه، هل وجهه النبى الى مشرك، أم الى منافق، أم الى أهل الكتاب، وهذا العمل له اعتباره؟ وعامل المكان له اعتباره ايضا فى معرفة أين قال رسول الله ﷺ حديثه، أو اين تم فعله أو تقريره او أمره ﷺ. سيساعد هذا الأمر كثيرا فى معرفة المكى من المدنى فى الحديث النبوى كما سيتضح الأمر لاحقا.

لكن الاعتبار الأكبر والأهم فى تقسيم الحديث الى مكى ومدنى، سيكون للعامل الزمنى، ويتم تحديده بالهجرة. فما كان قبل الهجرة المباركة فهو حديث مكى وما كان بعد هجرته ﷺفهو حديث مدنى، آخذا بما عليه المر في المكي والمدني في القران الكريم.

العلوم التى تساعد على تصنيف المكى والمدنى فى الحديث النبوى :

أولا علوم السيرة والمغازى:

لقد كان لعلم السيرة فائدة كبيرة، واسدى خدمة جليلة لعلوم المسلمين الأخرى وبخاصة علوم الحديث والتفسير والفقه والتاريخ، حيث أسست السيرة لهذه العلوم وساعدت فى نشأتها وتطورها .

يقول محقق كتاب المغازى للواقدى((المتوفى ٢٠٧ هـ) عن هذه المساهمة " والحقيقة أن التنوع الواسع فى المواضيع ظاهرة مهمة فى أدب السيرة والمغازى ويمكن أن نلمس فيها النشأة الأولى فى تقدم وتطور علوم الحديث والتفسير والتاريخ.

من المعرف ان أشهر ما ألففى السيرة هو كتابا ابن اسحاق والواقدى، ولكنهما مع ذلك ليسا باول من جمع الأخبار فى هذا الميدان العلمى[١]

بل نجد فى كتب السيرة ما شملت كثيرا من جوانب الحديث الشريف كما يشير الى ذلك مقدم كتاب المواهب الدنية بالمنح المحمدية للإمام القسطلانى (المتوفى ٩٢٣هـ). فيقول " وهناك مؤلفات فى السيرة تعدت السيرة الى الحديث عن أمور اخرى من حياة الرسول ﷺ من زاوية

---

(١) محمد بن عمر وقد السهمى الأسلمى بالولاء، المدنى، ابو عبدالله، الواقدى: المغازى- تحقيق مارسدن جونس- الناشر دار الاعلمى- بيروت الطبعة : الثالثة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ص١٩ ج ١.

فقهية وحديثية من أمثال ما كتبه"ابن القيم فى زاد المعاد في هدى خير العباد[1]

ولذا فمن سيرته ﷺ ندرك أحوال النبى ﷺ قوله وفعله وتقريره، واين ومتى كان الحديث، ومن هنا نميز بين ما هو مكى وما هو مدنى من حديثهﷺ، مع الأخذ فى الاعتبار الضوابط التى ستوضع للتحديد بين المكى والمدنى.

ولنضرب مثلا لوضع تقسيم الحديث مكى ومدنى من خلال معرفة علم السيرة والمغازى، كل حديث ذكر فيه اسم غزوة او ذكر فيه القتال بصفة عامة فهو من الأحاديث المدنية، ويذكر ابن ابى شيبة(١٥٩-٢٣٥هـ،٧٧٦-٨٥٠م) فى مصنفه.

" عن محمد بن عمرو الليثى، عن جده قال خرج رسول الله ﷺ الى بدر حتى اذا كان بالروحاء خطب الناس فقال: كيف ترون؟ قال أبو بكر : يارسول الله، بلغنا انهم بكذا وكذا،قال : ثم خطب الناس فقال "كيف ترون؟

فقال عمر مثل أبى بكر، ثم خطب فقال " ما ترون؟ فقال سعد بن معاذ: إيانا تريد، فو الذى أكرمك وأنزل عليك الكتاب، ما سلكتها قط ولا ليبها

---

(1) احمد بن محمد ابى بكر بن عبدالملك القسطلانى القتيبى المصرى ، ابو العباس شهاب الدين المواهب اللدنية بالمنح المحمدية – تقديم ابو عمرو عماد زكى البارودى المكتبة التوفيقية القاهرة – مصر ٢٠٠١ ج١ ص١٢

علم ولئن سرت حتى تأتى برك الغماد من ذي يمن لنسرين معك، ولا نكون كالذين قالوا لموسى من بنى إسرائيل" إذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون" ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما متبعون. ولعلك أن تكون خرجت لأمر واحدث الله إليك غيره، فانظر الذى أحدث الله إليك فامضله، فصل حبال من شئت اقطع حبال من شئت، وسالم من شئت، وعاد من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، فنزل القران على قول سعد " **كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ** "الى قوله ﴿ **ويَقْطَعَ دَابِرَ الكَافِرِينَ**﴾ [الانفال ٥-٧]

وإنما خرج رسول الله ﷺ يريد غنيمة ما مع ابى سفيان فأحدث الله إليه القتال [١]

ويروى الامام البخارى (١٩٤-٢٥٦هـ،٨١٠-٨٧٠م) فى صحيحه أن عبدالله بن كعب قال : سمعت كعب بن مالك رضى الله عنه يقول: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ فى غزوة غراها إلا فى غزوة تبوك، غير أنى تخلفت عن غزوة بدر، ولم يعاتب أحد تخلف عنها، إنما "خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد[٢]

---

(١) ابو بكر بن ابى شيبة، عبدالله بن محمد بن ابراهيم بن عثمان بن خواستى العبسى(المتفى٢٣٥هـ)المصنف فى الاحاديث والاثار- المحقق :كمال يوسف الحوت الناشر مكتبة الرشد- الرياض الطبعة الاولى ١٤٠٩هـ ج٧ ص ٣٥٣

(٢) محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغير، البخارى، ابو عبدالله : حيح البخارى

وحسب الرؤية الجديدة للمكى والمدنى فإن الحديثين السابقين مدنيين، لماذا؟

لأن الحديث الأول تناول مشاورات النبىﷺ قبل الخروج الى غزوة بدر، ومن هنا نعرف الحديث الشريف مدنى بأمرين:

أولا: ذكر فيه المكان وهو بدر، وهذا البئر من اماكن المدينة

ثانيا: معرفة مدنية الحديث بالزمان، وهو زمن الغزوة التى غزاهاﷺ وهكذا فى الحديث الثانى.

ومن هنا سيساعد علم السيرة والمغازى على أن نجد ما نبحث عنه فى معرفة الزمان والمكان المحددين للحديث الشريف.

وسيكون علم السيرة من العلوم التى ستشكل أسس معرفة المكى والمدنى فى الحديث الشريف، لما ترويه من أحداث وتحدده بالزمان والمكان، على وجه التقريب، وهذا ما نحتاج إليه فى معرفة المكى والمدنى فى الحديث النبوى.

ثانيا: علم أسباب ورود الحديث:

سيكون لهذا العلم أسهام كبير فى معرفة المكى من المدنى من حديث سيد المرسلينﷺ.

المحقق- محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوقة النجاة الطبعة : الاولى ١٤٢٢ هـ ج ٥ ص ٧٢

وحينما نشأ علم اسباب ورود الحديث الشريف، إنما كان لغاية إدراك السبب الذى من أجله قال النبى قوله وفعل فعله وتقصى حال النبى ﷺ وحال من يسأل أو يستفسر عن شىءما، كذلك حينما تقع حادثة ما أمام النبى أو يبلغ بها.

فيقول النبىﷺ قوله أو يفعل فعله وأحيانا ينقل السبب وفى أحيان أخرى لا ينقل، وكان ذلك مماثلا لعلم أسباب النزول فى القران الكريم كما ذكر الامام السيوطى

" لمعرفة أسباب النزول فوائد وأخطاء من قال لا فائدة له لجريانه مجرى التاريخ ومن فوائده الوقوف على المعنى أو إزالة الإشكال قال الواحدي لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها وقال ابن دقيق العيد بيان سبب النزول طريق قوى فى فهم معانى القران وقال ابن تميمه معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب وقد أشكل على جماعة من السلف معانى آيات حتى وقفوا على أسباب نزولها فزال عنهم الإشكال[1]

(1) عبدالرحمن بن ابى بكر جلال الدين السيوطى : لباب النقول فى أسباب النزول (المتوفى٩١١ هـ) ضبطه وصححه الاستاذ أحمد عبدا لشافى الناشر دار الكتب العلمية ببيروت- لبنان ص٣.

وكان لمعرفة هذا العلم وتطبيقه فى علم الحديث من الفوائد العظيمة والجليلة التى لا تخفى على البصير بعلوم الحديث، وغن كان الأمر لا يختلف كثيرا فى تطبيق أسباب الورود الحديث عن أسباب النزول فى القران. ويذكر الامام السيوطى فى بداية كتابه اللمع فى أسباب ورود الحديث نقلا عن الامام البلقينى(المتوفى ٨٠٥ هـ) سبب نشأة هذا العلم.

"قال البلقينى: واعلم ان السبب قد ينقل فى الحديث، كما فى الحديث: سؤال جبريل عن الإسلام والإحسان وغيرها وحديث: القلتين، سئل عن الماء يكون بالفلاة وما ينوبه من السباع والدواب.

وحديث: الشفاعة، سببه قوله ﷺ أنا سيد ولد آدم ولا فخر.

وحديث : سؤال النجدى، وحديث " صل فإنك لم تصل" وحديث خذى فرصة من مسك" وحديث السؤال عن دم الحيض يصيب الثوب وحديث السائل: أى الأعمال أفضل وحديث سؤال أى الذنب أكبر؟وذلك كثير وقد لاينقل السبب فى الحديث أو ينقل فى بعض طرقه، فهو الذينبغى الاعتناء به.

ومن ذلك حديث "أفضل صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبو: رواه البخارى ومسلم وغيرهما من حديث زيد بن ثابت. وقد ورد فى بعض الأحاديث على سؤال سائل وهو ما أسند ابن ماجه فى سننه، والترمذي فى الشمائل من حديث عبدالله بن سعد فى المسجد؟ ألا ترى الى بيتى؟ ما أقربه الى

المسجد! فلأن أصلى فبيتى أحب الى من أن اصلى فى المسجد، إلا ان تكون صلاة مكتوبة"

ثم ذكر البلقينى عدة أمثلة وقال : وما ذكر فى هذا النوع من الأسباب قد يكون ما ذكر عقب ذلك السبب من لفظ النبى ﷺ أول ما تكلم به النبى ﷺ فى ذلك الوقت، وقد يكون تكلم به قبل ذلك لنحو ذلك السبب أو لسبب آخر أو من غير سبب.وقد يتعين أن يكون أول ما تكلم به فى ذلك الوقت لأمور وتظهر للعارف بهذا الشأن وفى أبواب الشريعة والقصص وغيرها، أحاديث لها أسباب يطول شرحها[1]

كما يضاف الى كتاب أسباب ورود الحديث للامام السيوطى، كتاب المحدث الامام ابن حمزة الحسينى الدمشقى (المتوفى ٧٦٥هـ) البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث الشريف".

وفى نقل سبب ورود الحديث يشار فى كثير من الأحيان الى ذكر زمان أو مكان الحديث الشريف، كذلك ينقل أيضا من كان سببا لقول هذا الحديث ومن خلال معرفة الزمان أو المكان أو من كان سببا فى ورود الحديث. يمكن أن نحدد أنه مكى أو مدنى. ومثال ذلك ما جاء فى حديث

(1) الامام السيوطى : اللمع فى اسباب ورود الحديث ج١ ص ٢٩

غنما الأعمال بالنيات، يقول الامام السيوطى عن سبب ورود هذا الحديث:

"قال الزبير بن بكار فى أخبار المدينة عن موسى بن محمد بن ابراهيم ابن الحارث عن ابيه قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك فيها اصحابه وقدم رجل فتزوج امرة مهاجرة، فجلس رسول اللهﷺ على المنبر فقال: ياأيها الناس إنما الأعمال بالنيات، ثلاثا فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله، ومن كانت هجرته فى دنيا يطلبها أو امرأة يخطبها فإنما هجرته الى ما هاجر إليه. ثم رفعيديه فقال :اللهم انقل عنا الوباء"ثلاثا فلما أصبح قال: أوتيت هذه الليلة بالحمى فإذا بعجوز سوداء ملببة فى يدى الذى جاء بها فقال هذه الحمى فما ترى؟ فقلت اجعلوها بخم.[1]

ثالثاً: علم رجال الحديث:

علم معرفة رجل الحديث من أهم علوم الدراية، وما نهتم به في هذا العلم معرفة الطبقات التى شملت طبقات الصحابة والتابعين وتابعي التابعين. وعلى وجه خاص كتب معرفة الصحابة، وهى خاصة بتراجم أصحاب رسول الله ورضى عنهم.

(1) الامام السيوطى : اللمع فى اسباب ورود الحديث ج1 ص ٣١

والصحابي" من اجتمع بالنبي ﷺ، أو رآه مؤمنا به، ومات على ذلك، فيدخل فيه: من ارتد ثم رجع الى الإسلام: كالأشعث بن قيس، فإنه كان ممن ارتد بعد وفاة النبي، فجيء به أسيرا الى ابى بكر، فتاب وقبل منه ابو بكر رضى الله عنه.

ويخرج منه: من آمن بالنبىﷺ فى حياته، ولم يجتمع به كالنجاشى، ومن ارتد ومات على ردته: كعبدالله بن خطل قتل يوم الفتح، وربيعة بن أمية بن خلف ارتد فى زمن عمر ومات على الردة.

والصحابة عدد كثير، ولا يمكن الجزم بحصرهم على وجه التحديد، ولكن قيل على وجه التقريب: أنهم يبلغون مائة وأربعة عشر ألفا.

والصحابة كلهم ثقات ذوو عدل، تقبل رواية الواحد منهم وإن كان مجهولا ولذلك قالوا: جهالة الصحابى لاتضر .

والدليل على ما وصفناه من حال الصحابة: أن الله أثنى عليهم ورسوله فى عدة نصوص. وأن النبىﷺ يقبل قول الواحد منهم إذا علم إسلامه، ولا يسأل عن حاله، فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : جاء اعرابى الى النبىﷺفقال : إنى رأيت الهلال :يعنى رمضان فقال أتشهد ألا إله إلا الله، قال نعم. قال أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال نعم. قال يا بلال أذن فى الناس فليصوموا غدا "أخرجه الخمسة وصححه ابن خزيمة وابن حبان.

وآخر الصحابة موتا على الاطلاق:

- عامر بن واثله الليثى مات بمكة سنة ١١٠ هـ، فهو آخر من مات بمكة.
- وآخر من مات بالمدينة: محمود بن الربيع الأنصارى الخزرجى مات سنة ٩٩ هـ
- وآخر من مات بالشام في دمشق: واثلة بن الأسقع الليثي مات سنة ٨٩ هـ
- وآخر من مات فى حمص : عبدالله بن بسر المازنى سنة ٩٦هـ
- وآخر من مات بالبصرة: أنس بن مالك الأنصارى الخزرجى مات سنة ٩٣ هـ.
- وآخر من مات بالكوفة : عبدالله بن ابى أوفى الأسلمى مات سنة ٨٧ هـ
- وآخر من مات بمصر : عبدالله بن الحارث الزبيدى مات سنة ٨٩ هـ

ولم يبق منهم أحد بعد سنة عشر ومئة، لقول ابن عمر رضى الله عنهما : صلى بنا رسول الله ﷺ فى آخر حياته فلما سلم قام فقال " أرأيتكم ليلتكم هذه فإن رأس مئة سنة منها، لا يبقى ممن هو اليوم

على ظهر الأرض أحد " متفق عليه وكان ذلك قبل موته بشهر كما رواه مسلم من حديث جابر [1]

ومن خلال هذه المعلومات الموثقة، يساعد هذا العلم فى معرفة المكى والمدنى فى الحديث، من خلال معرفة الرواة، متى ولد ومتى أسلم وتاريخ غسلامه، ومتى وكيف روى الحديث؟ نستطيع احيانا تحديد المكى والمدنى وذلك بوضع ضوابط.

فمثلا : ما رواه الصحابة من النصار فهو الحديث المدنى، ماعدا أحاديث بيعة العقبة فإنها كانت قبل الهجرة.

مارواه أبو هريره رضى الله عنه فى احاديث مدنية، ماعدا ما كان قبل الهجرة

ماروته عائشة رضى الله عنها فى أحاديث مدنية، إلا ما كان فى أحاديث الإسراء.

([1]) محمد بن صالح العثيمين (المتوفى ١٤٢١هـ)مصطلح الحديث- الناشر : مكتبة العلم ، القاهرة- الطبعة الاولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤ ص ٣٤، ٣٣ بتصرف

رابعا علم الناسخ والمنسوخ فى الحديث(١)

(١) يقول صاحب كتاب الاعتبار فى الناسخ والمنسوخ من الاثار عن معنى النسخ:اعلم ان النسخ له اشتقاق عند ارباب البيان، وحد عند اصحاب المعانى وشرائط عند العالمين بالاحكام اما اصله: فالنسخ فى اللغة عبارة عن ابطال الشيء واقامة اخر مقامه. وقال ابوحاتم: الاصل فيه النسخ، وهو ان يحول ما فى الخلية من العسل والنحل فى اخرى، ومنه نسخ الكتاب وفى الحديث: ما من نبوة الا وتناسختها فترة ثم النسخ فى اللغة موضوع بإزاء معنيين أحدهما الزوال على وجهة الانعدام.
والثانى على جهة الانتقال
أما النسخ بمعنى الازالة فهو ايضا على نوعين:
نسخ الى بدل نحو قولهم: نسخ الشيب الشباب، نسخت الشمس الظل.أى أذهبته وحلت محله
ونسخ الى غير بدل :إنما هو رفع الحكم وغبطاله من غير أن يقيم له بدلا : يقال نسخت الريح الآثار أى ابطلتها وازلتها
واما النسخ بمعنى النقل فهو نحو قولك : نسخت الكتاب اذا نقلت ما فيه وليس المراد به اعدام ما فيه ومنه قوله تعالى "إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون"يريد نقله الى المصحف، ومن المصحف الى غيرها، غير ان المعروف من النسخ فى القران هو ابطال الحكم مع اثبات الخط وكذلك هو فى السنة
أمام فى الكتاب فهو ان تكون الاية الناسخة والمنسوخة ثابتتين فى التلاوة، إلا أن المنسوخة لا يعمل بها مثل عدة المتوفى عنها زوجها كانت سنة. لقوله تعالى: متاعا الى الحول غير إخراج، ثم نسخت بأربعة أشهر وعشر فى قوله تعالى يتربصن بانفسهن أربعة اشهر وعشرا .واما فى السنة فعل نحو ذلك ايضا لأن الغالب انهم نقلوا المنسوخ كما نقلوا الناسخ.

يعد علم الناسخ والمنسوخ فى القران الكريم وفى السنة المطهرة من أهم العلوم وانفعها، ومن لا علم له بهما ،فلا يصح له حديث فى القران ولا فى السنة فإن الكلام فيهما بغير هذا العلم يسبب الهلكة لصاحبه.

وأما حده فمنهم من قال : إنه بيان انتهاء مدة العبادة وقيل بيان انقضاء مدة العبادة التى ظاهرها الدوام ، وقال بعضهم : إنه رفع الحكم بعد ثبوته

وقد أطبق المتأخرون على ما ذكر، القاضى: أنه الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتا به مع تراخيه عنه، وهذا حد صحيح

السابق مقيدا بزمان مخصوص، مثل قوله عليه السلام لا صلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس، ولا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس. فإن الوقت الذى يجوز فيه أداء النوافل التلا سبب لها مؤقت، لا يكون نهيه عن هذه النوافل فى الوقت المخصص ناسخا لما قبل ذلك من الجواز:لأن الأقيت يمنع النسخ. ومنها أن يكون الخطاب الناسخ متراخيا عن المنسوخ، فعلى هذا يعتبر الحكم الثانى.

- أنظر الاعتبار فى الناسخ والمنسوخ من الآثار: لابى بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمى الهمدانى، زين الدين (المتوفى ٥٨٤هـ) الناشر دائرة المعارف العثمانية- حيدرآباد ، الدكن – الطبعة : الثانية ١٣٥٩هـ المقدمةص ٧، ٦
- أنظر الأستاذ حاتم صالح الضامن محقق الناسخ والمنسوخ لقتادة – كلية الآداب – جامعة بغداد مؤسسة الرسالة – الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ .١٩٩٨م ص ٧، ٦

يقول أبو عبيد القاسم بن سلام (المتوفى ٢٢٤هـ) فى كتابه الناسخ والمنسوخ فى القران العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، عن فضل هذا العلم مستندا الى قول الامام على رضى الله عنه، فى باب فضل علم ناسخ القران ومنسوخه وتأويل النسخ فى التنزيل الآثار:

" عن أبى عبدالرحمن السلمى أن على بن أبى طالب- رضى الله عنه : مر بقاص يقص فقال: هل علمت الناسخ والمنسوخ؟ فقال لا قال هلكت وأهلكت. كذلك روى عن ابن عباس انه رأى قاصا يقص، فقال مثل مقالته على سواء.(١)

وقد أشار النبى ﷺ الى وجود النسخ فى حديثه الشريف، فعن ابن عمر قال قال رسول اللهﷺ : إن أحاديثى ينسخ بعضها بعضا كنسخ القران".

قال الزهرى : كانوا " يرون أن آخر الأمرين من رسول اللهﷺ هو الناسخ الأول (٢)

---

(١) ابوعبيد القاسم بن سلام بن عبدالله الهروى البغدادى : الناسخ والمنسوخ فى القران العزيز وما فيه من الفرائض والسنن- دراسة وتحقيق: محمد بن صالح المديفر- الناشر مكتبة الرشد/ شركة الرياض- الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م ص٤ - والخبر عن الامام على روى نحوه البيهقى فى السنن الكبرى وقال الألبانى :إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) أبو حفص عمر بن احمد بن عثمان بن احمد بن محمد بن ايوب بن أذداذ البغدادى المعروف بـ ابن شاهين (المتوفى ٣٨٥هـ .) : ناسخ الحديث ومنسوخه - المحقق: سمير بن أيمن الزهيرى - الناشر: مكتبة المنار- الزرقاء الطبعة

وهذا العلم كما يقول الزهرى" أعيا الفقهاء واعجزهم أن يعرفوا ناسخ حديث رسول الله ﷺ من منسوخه" قال أخبرنا ضمرة. عن عباد بن كثير قال : كان أعلمهم بناسخ حديث رسول الله ﷺ ومنسوخه إرباهيم النخعى.(١)

وربما كان الاعياء الذى أصاب الفقهاء والعلماء، من معرفة ناسخ الحديث ومنسوخه وذلك لصعوبة معرفته والإلمام به. وبعد هذا الجهد الجهيد، وتأليف المؤلفات، اصبح الأمر ميسرا.ويبين قيمة هذا العلم الجليل أبو بكر الهمذانى فى كتابه" الاعتبار فى الناسخ والمنسوخ من الآثار " فيقول " أما بعد : فهذا الكتاب أذكر فيه ما انتهت الى معرفته من ناسخ حديث رسول الله ﷺ ومنسوخه، إذ هو علم جليل ذو غور وغموض، دارت فيه الرؤس، وتاهت فى الكشف عن مكنونه النفوس، وقد توهم بعض من لم يحظ من معرفة الآثار إلا بآثار، ولم يحصل من طرائق الأخبار إلا أخبارا، أن الخطب فيه جليل ويسير، والمحصول منه قليل غير كثير.

ومن أمعن النظر فى اختلاف الصحابة فى الأحكام المنقولة عن النبىﷺ اتضح له ما قلناه.(٢)

الاولى ١٤٠٨هـ-١٩٩٨م ص ٣٦، ٣٥

(١) ناسخ الحديث ومنسوخه : ابن شاهين المصدر السابق ص ٣٧.

(٢) ابو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمى الهمدانى، زين الدين (المتوفى ٥٨٤هـ) الاعتبار فى الناسخ والمنسوخ من الآثار – الناشر: دائرة المعارف العثمانية- حير آباد الدكن –الطبعة الثانية١٣٥٩ هـ ص٢.

ولكنكيف يمكن الاستفادة من هذا العلم فى معرفة المكى والمدنى فى الحديث النبوى، يمكن ذلك من خلال معرفة الدلالة الشرعية للحديث قبل النسخ وبعده، وإدراك زمن قول النبى ﷺ ومكانه، ويمكن أن نستطيع تقصى الحكمة فى أبعادها المختلفة فى شتى علوم الإسلامية، مع السعى الى الفهم الأعمق والمقصد الأمثل لقول النبىﷺ وفعله وتقريره، من خلال إدراك الزمان والمكان وهذا يحدده معرفة المكى والمدنى فى أحاديث سيد المرسلينﷺ. ويمكن الاستعانة ببقية العلوم الشرعية فى تحديد المكى والمدنى فى الحديث النبوى حسب الحاجة، وكلما تطلب الأمر ذلك، بحي تنصل الى وضع الضوابط التى يمكن الاعتماد عليها، وتحصيل الفوائد المرجوة منها.

الفصل الثالث

ضوابط المكي والمدني في الحديث النبوي

- ضوابط بحسب صيغة الخطاب النبوي
- بلاغة الرسول من صنع الله
- ضوابط بمعرفة الراوي
- أسباب قلة الرواية في العهد المكي وكثرتها في العهد المدني
- ضوابط بمعرفة المكان
- ضوابط بمعرفة الفرائض والأركان

ضوابط المكي والمدني في الحديث النبوي

سبق الحديث عن كيفية تحديد وتقسيم المكى والمدنى، وذكرنا أنه يمكن تحديد وتقسيم المكى والمدنى فى السنة المطهرة على ثلاثة اسس:

إعتبار الخطاب – إعتبار المكان – اعتبار الزمان

والزمان المعتبر هنا هو هجرة النبى ﷺ، وهو الاختيار الأفضل فى تقسيم المكي والمدنى فى الحديث، كما هو الحال فى تقسيم القران الكريم.

وبعد الكلام عن كيفية التحديد والتقسيم، نستطيع وضع ضوابط لهذا التحديد وهى ضوابط مشابهه الى حد ما ايضا كما فى المكى والمدنى فى القران الكريم، وبالاستعانة بعلوم القران يمكن تحديد المكى من المدنى فى السنة النبوية المطهرة بطريقة مشابهه وهذه الضوابط هى:

- وضع ضوابط بحسب صيغة الخطاب النبوى
- وضع ضوابط بمعرفة الراوى
- ضوابط بمعرفة المكان
- ضوابط بمعرفة الفرائض والأركان

أولا ضوابط بحسب صيغة الخطاب النبوى:

بلاغة الرسول من صنع الله:

كان رسول الله ﷺ أبغل الناس وافصحهم، واعرفهم لغات العرب جميعا، فلا عجب فى ذلك، ولا غرابة فيه، فهى إحدى المنح الربانية، وواحدة من الخصال المحمدية، التى خصها به رب البرية.

وفصاحته وبلاغته وعذ لسانه، وحسن منطقه وبيانه من شيمه وصفاته. ويروى الامام مسلم فى صحيحه كتاب المساجد عن أبى هريرة. أن الرسول ﷺقال: فضلت على الانبياء بست: أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب، واحلت لى الغنائم، وجعلت لى الأرض طهورا ومسجدا، وارسلت الى الخلق كافة، وختم بى النبيون" (١)

ويقول الامام البغوى(المتوفى ٥١٦ هـ) فى شرح السنة عن هذا الحديث" أوتيت جوامع الكلم" قيل يعنى القران، جمع الله سبحانه وتعالى بلطفه معانى كثيرة فى ألفاظ يسيرة، وقيل معناه: إيجاز الكلام فى إشباع من المعنى، فالكلمة القليلة الحروف منها يتضمن كثيرا من المعانى، وأنواعا من الأحكام(٢)

كما يوضح هذه الصفات والشيم الكرام التى تزينه بمحمد عليه الصلاة والسلام، أحاديث أخرى منها:

خرج الامام احمد رحمه الله من حديث عمرو بن العاص، قال " خرج علينا رسول الله ﷺ يوما كالمودع، فقال أنا محمد النبي الأمي" قال ذكر

---

(١) صحيح الامام مسلم كتاب المساجد ج ١ ص ٣٧١ .

(٢) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محم الفراء البغوى الشافعى: شرح السنة – تحقيق شعيب الأرنؤوط محمد زهير الشاويش – الناشر: المكتب الإسلامى- دمشق بيروت – الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م عدد الاجزاء١٥ ج ١٣ ص١٩٨

ذلك ثلاث مرات" ولا نبي بعدى، أوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه" وذكر الحديث. وخرج أبو يعلى الموصلي من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى ﷺإنى أوتيت جوامع الكلم وخواتمه واختصر لى اختصارا"

وخرج الدارقطنى من حديث ابن عباس عن النبى ﷺ قال أعطيت جوامع الكلم، واختصر لى الحديث اختصارا"[1]

ومن أدرى الناس ببلاغته ﷺ إلا البلغاء، ومن أعرف الناس بفصاحته غير الفصحاء، ولذا نستشهد بواحد منهم:

يقول الجاحظ فى البيان والتبيين تحت عنوان "بلاغة النبى"وروى الأصمعي وابن الاعرابى، عن رجالهما أن رسول اللهﷺ قال" إنا معشر الأنبياء بكاء"فقال النا: البكء:القلة، وأصل ذلك من اللبن فقد جعل صفة الأنبياء قلة الكلام، ولم يجعله من إيثار الصمت ومن التحصيل وقلة الفضول.قلنا ليس فى ظاهر هذا الكلام دليل على أن القلة من عجز فى الخلقة، وقد يحتمل ظاهر الكلام الوجهين جميعا، وقد يكون القليل من اللفظ يأتى على الكثير من المعانى، والقلة تكون من وجهين: أحدهما

(١) زين الدين عبدالرحمن بن احمد بن رجب بن الحسن، السلامى، البغدادى ثم الدمشقى، الحنبلى (المتوفى٧٩٥هـ):جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم- المحقق: شعيب الأرنؤوط-ابراهيم باجس-الناشر: مؤسسة الرسالة-بيروت الطبعة السابعة ١٤٢٢هـ٢٠٠١م ص٥٤

من جهة التحصيل، والاشفاق من التكلف، وعلى تصديق قوله: قل ما أسئلتكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين، وعلى البعد من الصنعه ، ومن شدة المحاسبة وحصر النفس، حتى يصير بالتمرين والتوطين الى عادة تناسب الطبيعة. وتكون من جهة العجز ونقصان الآلة، وقلة الخواطر، وسوء الاهتداء الى جياد المعانى، والجهل بمحاسن الألفاظ.

ألا ترى ان الله قد استجاب لموسى عليه السلام حين قال: واحلل عقدة ﴿**واحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) واجْعَل لِّي وزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَرُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) ونَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (٣٦) ولَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (٣٧)**﴾[سورة طه].

فلو كانت تلك العقدة من موسى، لأن العرب اشد فخرا ببيانها وطول ألسنتها، وتصريف كلامها، وشدة اقتدارها.

وعلى حسب ذلك كانت زرايتها على كل من قصر عن ذلك التمام ونقص من ذلك الكمال، إذا أفتنت، كثر عدد اللفظ. ولم يكن الله ليعطى موسى لتمام إبلاغه شيئا لا يعطيه محمدا، والذين بعث فيهم اكثر ما يعتمدون عليه البيان واللسن[1]

(١) عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى بالولاء الليثى، ابو عثمان الشهير بالجاحظ (المتوفى ٢٥٥ هـ) البيان والتبيين- المؤلف – الناشر: دار ومكتبة الهلال

ويقول الرافعى عن ضروب إبداعه ﷺ، وصنوف إعجازه فى جوامع كلمه، فى كتابه إعجاز القران والبلاغة النبوية " ضرب آخر من الأوضاع التركيبية فى بلاغة النبى ﷺ الذى يكون مجتمعا بنفسه مفردا فى الكلم القليلة، وهذا الضرب يتفق فى بعض الكلام المبسوط، فتقوم اللمحة منه ودلالتها بأوسع ما تأتى به الإطالة، وتكفى من مرادفة المعانى وتوكيدها ومقابلتها بعضها ببعض، فيكون السكوت عليها كلاما طويلا، والوقوف عندها شأوا بعيدا وهو القليل فى كلام البلغاء إلى حد النذرة التى لا يبنى عليها حكم، ولكنه كثير رائع فى البلاغة النبوية، لما عرفت من أسباب قلة كلامه ﷺ فإن هذه القلة إن لم تنطو على مثل هذا الضرب الغريب، لا تفى بالكثرة من غيره، ولا تعد فى باب التمكين والاستطاعة ولا يكون فضلها فى الكلام فضلا، ولا يعرف أمرها فى البلاغة أمرا[1]

ولا أجد رقة وعذوبة فى وصف بلاغته وجوامع كلامه ﷺ إلا كما قال احمد حسن الزيات باشا فى مجلة الرسالة حيث يقول: " إن بلاغة الرسول من صنع الله، ما كان من صنع الله تضيق موازين الانسان عن وزنه، وتقصر مقاييسه عن قياسه: فنحن لا ندرك كنهه وإنما ندرك

بيروت- ١٤٢٣هج ٣ ص ٢٦٣، ٢٦٢

(١) مصطفى صادق بن عبدالرزق بن سعيد بن احمد بن عبدالقادر لرافعى (المتوفى ١٣٥٦هـ) إعجاز القران والبلاغة النبوية- الناشر دار الكتاب العربى -بيروت الطبعة الثامنة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م ص٢٢٧

أثره ونحن لا نعلم إنشاءه وإنما نعلم خبره. هل يدرك المرء من آثار الشمس غير الضوء والحرارة؟ وهل يعلم من أسرار الروض غير العطر والنضارة؟ وهل يجد فى نفسه من أغوار البحر غير الشعور بالجلالة والروعة؟ إن البلاغة النبوية هى المثل الأعلى للبلاغة العربية. وإذا كان كلام الله كان البلاغ المعجز، فإن كلام الرسول سنة هذا البيان .

وإذا كان البلاغ صفة كل رسول، إن البلاغة صفة محمد وحده، تجمعت فيه ﷺ خصائص البلاغة بالفطرة وتهيأت له أسباب الفصاحة بالضرورة، فقد ولد فى بنى هاشم، ونشأ فى قريش، واسترضع فى بنى سعد وتزوج من بنى أسد، وهاجر الى بنى عمرو وهم الاوس والخزرج، وهذه القبائل التى تقلب فيها الرسول هى بالإجماع أخلص القبائل لسانا وأفصحها بيانا وأعذبها لهجة (١)

يحار اللبيب حينما ينظر الى بلاغة الرسول وفصاحته وطريقة خطابه، حيث لكل مقام مقال، كيف لا وهو القائل فى الحديث الذى رواه ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال " أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلم الناس على قدر عقولهم "

(١) مجلة الرسالة أصدرها : احمد حسن الزيات باشا(العدد ٧٦٠- بتاريخ ٢٦-١-١٩٤٨)

كما أخرج البخارى فى صحيحه فى باب العلم عن على رضى الله عنه قال " حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله[١]

وكما أورد الامام مسلم فى مقدمة صحيحه عن ابن مسعود رضى الله عنه قال " ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة [٢]

كذلك ورد فى الحديث الضعيف كما قال ابن حجر ولكن له شواهد من الصحيح أنه قال" أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم"

والناظر فى طريقة خطابه ﷺ من خلال تقسيم الحديث الى مكى ومدنى يجد أن بلاغته ﷺ تقتضى أن حديثه لأهل مكه يختلف فى حديثه لأهل المدينة، ولا يمكن بحال أن تكون مفردات الخطاب فى الأحاديث المدنية هى التى كانت فى الأحاديث المكية.

من هنا نجد أن صفات خطاب الرسول ﷺ فى مكة كانت مشابهه لصفات الخطاب القرآنى لهم، كذلك الأمر فى الخطاب الدينى .

بعض الضوابط فى صيغ الخطاب المكى

ولذلك يمكن أن يكون الضابط فى صيغة الخطاب من حيث تقسيم الحديث الى مكى ومدنى فمثلا:

(١) رواة الامام البخارى : باب من خص قوما دون قوم ج١ ص ٣٧.

(٢) رواة الامام مسلم باب النهى عن الحديث بكل ما تسمع ج١ ص١١.

١- كل حديث شريف ورد فيه نداء بالتوحيد وبناء العقيدة، ومنابذة الشرك فهو على الأرجح حديث مكى، إلا إذا وجدت قرينة تدل على غير ذلك.

ومثال ذلك عن أبى بن كعب قال" قال المشركون للنبىﷺ انسب لنا ربك، فأنزل الله قل هو الله أحد الله الصمد. يقول ابن كثير فى تفسيره عن الشعبى عن جابر رضى الله عنه أن أعرابيا جاء الى النبىﷺ فقال :انسب لنا ربك، فأنزل الله عز وجل قل هو الله أحد الى أخرها إسناد متقارب، وقد رواه ابن جرير عن محمد بن عوف عن سريج فذكره، وقد أرسله غير واحد من السلف، وروى عبيد بن إسحاق العطار عن قيس بن الربيع عن عاصم، عن أبى وائل، عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قالت قريش لرسول اللهﷺ: انسب لنا ربك فنزلت هذه السورة قل هو الله أحد قال الطبرانى: ورواه الفريابى وغيره عن قيس عن أبى عاصم، عن أبى وائل مرسلا ثم روى الطبرانى من حديث عبدالرحمن بن عثمان الطائفى عن الوزاع بن نافع عن أبى سلمة عن أبى هريره قال:قال رسول الله ﷺ" لكل شىء نسبة ونسبة الله قل هو الله أحد . الله الصمد والصمد ليس بأجوف(١)

(١) انظر تفسير سورة الاخلاص تفسير ابن كثير. وتفسير الطبرى جامع البيان عن تأويل آى القران- تحقيق الدكتور عبدالله عبدالمحسن التركى بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامه- الناشر

وهذا المال السابق فى الحديث الشريف يدل على أن الحديث ورد على لسان رسول الله فى الحقبة المكية، وكان سببا لنزول سورة الإخلاص، وكان أيضا لبعض ألفاظ التى وردت فى الحديث " قال المشركون قالت قريش" دليل على مكيته.

لكن إذا وجدت قرينة تدل على غير ذلك فهو مدنى ، فمثلا إذا نظرنا فى فضل سورة الاخلاص أيضا نجد أن الأحاديث فيها مدنية بقرائن:

ففى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن النبىﷺ بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبى ﷺ فقال "سلوه لأى شىء يصنع ذلك"؟ فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها فقال النبىﷺ "أخبره أن الله يحبه".

ثم يذكر الامام البخارى الحديث ذات فى رواية أخرى عن عمرة بنت عبدالرحمن وكانت فى حجر عائشة زوج النبى ﷺ عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ بعث رجلا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد[1] ثم أورد الحديث هكذا رواه فى كتاب التوحيد ورواه مسلم والنسائى.

دار هجر للطباعة والنشر و التوزيع والاعلان – الطبعة الاولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١

(١) رواه الامام البخارى فى كتاب التوحيد ج٩ ص ١١٥ وكذلك رواه الامام مسلم والنسائى

ثم يبين الامام ابن كثير فى تفسيره أنه كان رجل من الأنصار يؤمهم فى مسجد قباء، فكلما افتتح سورة يقرأ بها لهم فى الصلاة مما يقرأ به افتتح بقل هو الله أحد، حتى يفرغ منها ثم كان يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك مع كل ركعة: فكلمه أصحابه فقالوا إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بالأخرى، فإما أن تقرأ بها وإما تدعها وتقرأ بأخرى، فقال ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرون أنه أفضلهم وكرهوا أن يؤموهم غيره فلما أتاهم النبىﷺ أخبروه الخبر فقال يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به لأصحابك وماحملك على لزوم هذه السورة فى كل ركعة" قال إنى أحبها "قال حبك إياها أدخلك الجنة" والسبب فى ترجيح الحديث الشريف بأنه حديث مدنى أربع قرائن هى:

القرينة الاولى: رواية السيد عائشة رضى الله عنها لهذا الحديث

القرينة الثانية: أن عمرة بنت عبدالرحمن راوية الحديث الثانى، كانت فى حجر عائشة زوج النبى ﷺ ومعلوم أن النبىﷺ لم يدخل بعائشة رضى الله عنها إلا بالمدينة.

القرينة الثالثة: أن الحديث الأول الذى ذكره الامام البخارى جاء فيه كلمة سرية والسرية أو الغزوة أو القتال هى من المصطلحات المدنية.

القرينة الرابعة: أن الرواية التى ذكرها الامام ابن كثير لهذا الحديث الشريف أنه كان رجل من الأنصار يؤمهم فى مسجد قباء، ومعلوم أن

أحاديث الأنصار معظمها مدنية، بالإضافة الى أن مسجد قباء بالمدينة لهذه القرائن مجتمعة من الممكن أن نحكم على هذه الأحاديث السابقة بأنها أحاديث مدنية، كما سيبين ذلك إن شاء الله تعالى فى الضوابط المدنية.

٢- كل حديث ورد فيه كلام عن الاستضعاف فهو حديث مكى .

كانت مرحلة الاستضعاف من خصائص الفترة المكية وذلك قبل هجرتهﷺ، حيث ذاق رسول الله والصحابة رضىالله عنهم جميعا ألوانا من العذاب والعنت ما تعجز الجبال عن تحمله

وقد جاء فى هذا الباب أحاديث كثيرة ولذلك يمكن وضعها من أبرز الضوابط التى تميز بها الحديث المكى.

جاء فى الكتاب المصنف فى الأحاديث والآثار مصنف أبى شيبة (المتوفى٢٣٥هـ) فى باب إسلام أبى بكر، وكذلك فى سنن ابن ماجه "فضل سلمان وأبى ذر" عن ابن مسعود قال: كان أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ، وابو بكر، وعمار، وأمه سمية، و صهيب، وبلال، والمقداد لفأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبى طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون وألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم فى الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا،

إلا بلالا، فإنه هانت عليه نفسه فى الله، وهان على قومه، فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة، وهو يقول "أحد أحد"[١] كذلك ما رواه الامام احمد فى مسنده عن خباب قال : شكونا الى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة فى ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا الله عز وجل فقال" قد كان الرجل فيمن كان قبلكم يؤخذ فيحفر له فى الأرض فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل بنصفين فما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصب فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من المدينة الى حضر موت لا يخاف إلا الله عز وجل، والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون[٢]

وهذان المثالان من حديث رسول الله ﷺ يدلان بوضوح لا لبس فيه أنهما مكيان، وعلى ذلك يمكن جعل الصيغة التى ترد في كل حديث فيه استضعاف هو من الحديث المكي على وجه العموم.

٣- كل أحاديث معجزة الإسراء والمعراج فهى أحاديث مكية:

من المعلوم أن معجزة الإسراء والمعراج كانت فى العهد المكى باتفاق أهل الإسلام ويتبع ذلك أيضا كل الأحاديث التى وردت بهذا الخصوص

(١) سنن ابن ماجه ج ١ ص ٢٥.

(٢) مسند الامام احمد جـ ٣٤ ص ٥٥١.

بأنها أحاديث مكية، حتى وإن قيلت بالمدينة، أو جاءت على لسان أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أو أبو هريره، أو غيرهما والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة ولا تحتاج الى مزيد إيضاح.

وضع ضوابط فى معرفة صيغ خطاب النبىﷺ المدنية فمثلا :

- كل الأحاديث التى ذكر فيها إذن بالحرب أو القتال أو الغزوات فهى أحاديث مدنية.

ومثال ذلك فعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال" لما أخرج النبىﷺ من مكة، قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون ليهلكن، فنزلت" أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير"الحج ٣٩ قال فعرف أنهسيكون قتال" قال ابن عباس" هى أول آية نزلت فى القتال" رواه احمد فى مسنده(١)، كذا رواه الترمذى باب سورة الحج. كذلك كل حديث ذكر فيه غزوة أو سرية والأمثلة على ذلك كثير فهو من الأحاديث المدنية.

- كل حديث ذكر فيه خطاب لأهل الكتاب فهو مدنى وكذلك معظم الأحاديث التي ورد فيها ذكر اليهود والنصارى، ماعدا ما جاء فى قصة بحيرة الراهب،وما كان من بعض كهنة اليهود فى بداية بعثته الشريفة فهذه الأحداث بالاتفاق مكية كذلك كل الأحاديث التى جاءت فيها خبر

(١) مسند الامام احمد ج ٣ ص٣٥٨ وكذلك الترمذى باب سورة الحج ج ٥ ص ١٧٧.

عن صحيفة المدينة، أو إجلاء اليهود عنها أو ما جاء فى أحاديث غزوة خيبر فهى أحاديث مدنية. فى حين يغلب استخدام كلمة الكفار أو المشركين فى الخطاب فى الحديث المكى. مثال ذلك من الأحاديث المدنية التى فيها خطاب لليهود:

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: بينما نحن فى المسجد إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال "انطلقوا الى يهود" فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس، فقام النبىﷺ فناداهم " يا معشر اليهود أسلموا تسلموا" فقالوا قد بلغت أبا القاسم، فقال "ذلك أريد" ثم قالها الثانية، فقالوا قد بلغت أبا القاسم، ثم قال الثالثة، فقال " اعلموا ان الأرض لله ورسوله، وإنى أريد أن أجليكم، فمن وجد منكم بماله شيئا فليبعه وإلا فاعلموا أنما الأرض لله ورسوله"(١)

وعن سليمان بن يسار: أن رسول الله ﷺ كالبعث عبدالله بن رواحة الى خيبر فيخرص بينه وبين يهود خيبر قال، فجمعوا له حليا من حلى نسائهم فقالوا هذا لك وخفف عنا وتجاوز فى القسم. فقال عبدالله بن رواحة: يا معشر يهود، والله إنكم لمن أبغض خلق الله الى وما ذاك بحاملى على

(١) صحيح البخارى باب بيع المكر، جـ٩ ص٢٠ كما رواه مسلم فى باب إجلاء اليهود جـ٣ ص١٣٨٧

أن أحيف عليكم. فاما ما عرضتم من الرشوة فإنها سحت وإنا لا نأكلها، فقالوا بهذا قامت السماوات والأرض[١]

- كل الأحاديث التى ذكر فيهاالنفاق والمنافقين فى أحاديث مدنية من الواضح لمن يعرف ضيغ خطاب النبىﷺ أنه لم يكن فى حديث النبى ذكر للنفاق أو المنافقين قبل قدومه ﷺ الى المدينة ولذلك سوف يكون من العلامات او الضوابط المحددة للحديث المدنى ذكر النفاق او المنافقين فى الحديث الشريف. فعن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ لعثمان " إن اله عز وجل كساك يوما قميصا، وإن أرادك المنافقون أن تخلعه فلا تخلعه"[٢] صحيح البخارى باب قوله" ﴿**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَّوِّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ**﴾[التوبة ٧٩]

عن أبى مسعود قال: لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل، فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه فقال المنافقون: إن الله لغنى عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رئا، فنزلت ﴿**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ**

(١) رواه مالك فى الموطأ باب المساقاة جـ٢ ص ٧٠٣

(٢) رواه الحاكم فى المستدرك باب فضل امير المؤمنين ذى النورين جـ٣ ص١٠٦ وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه

المُطَّوِّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ والَّذِينَ لا يَجِدُونَ إلاَّ جُهْدَهُمْ﴾ (١) [التوبة ٧٩]

كذلك ما رواه الامام البخارى فى صحيحه عن زيد بن أرقم قال كنت فى غزاة فسمعت عبدالله بن أبى يقول لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمى أو لعمر، فذكره للنبى ﷺ فدعانى فحدثته فأرسل رسول اللهﷺ الى عبدالله بن أبى وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذبنى رسول اللهﷺ وصدقه، فأصابنى هم لم يصبنى مثله قط، فجلست فى البيت فقال لى عمى ما أردتالى أن كذبك رسول اللهﷺ ومقتك؟فأنزل الله تعالى"إذا جاءك المنافقون" المنافقون١فبعث الى النبى ﷺفقرأ فقال " إن الله قد صدقك يازيد"٢ كما ذكره ابن شبة فى تاريخ المدينة باب خبر عبدالله بن ابى ابن سلول ضوابط بمعرفة الراوى الصحابة كلهم "عدول بتعديل الله ورسوله لهم"

يعرف الصحابى عند المحققين من أهل الحديث بانه من لقى النبىﷺ وهو مميز، مؤمنا به ومات على الإسلام، طالت مجالسته للنبى ﷺ أم قصرت، روى عنه أو لم يرو غزا معه أو لم يغز. وكما جاء فى مقدمة

---

(١) صحيح البخارى جـ٦ ص ٦٧ كما رواه الامام احمد فى مسنده فى فضائل الصحابة

(٢) رواه الامام البخارى فى صحيحه جـ ٦ ص١٥٢

العواصم من القواصم أن الصحابة كلهم عدول بتعديل الله ورسوله لهم ولا ينقص أحدا منهم إلا زنديق"[١]

وللصحابة بأسرهم خصيصة وهى أنه لايسأل عن عدالة أحد منهم وذلك أمر مسلم به عند العلماء لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب السنة وإجماع من يعتد به فى الإجماع من الأمة.

قال الله تبارك وتعالى" محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما"وفى نصوص السنة الشاهدة بذلك كثرة منها حديث أبى سعيد المتفق على صحته أن رسول الله ﷺ قال لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه[٢]

ومنها حديث عبدالله بن مغفل قال قال رسول الله ﷺ الله الله فى أصحابى، لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى

---

(١) القاضى أبى بكر بن العربى :العواصم من القواصم – المكتبة العلمية –بيروت لبنان ١٤٠٦هـ ١٩٨٦ م ص ٣٢

(٢) صحيح مسلم جـ ٤ ص ١٩٦٧ كما رواه البخارى فى صحيحه باب قول النبى لو كنت متخذا خليلا جـ٥ ص٨.

أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه[١]

وبعد تعديل الله تعالى ورسوله لهم لا يحتاج أحد منهم الى تعديل أحد من الخلق على أنه لو لم يرد من الله تعالى ورسوله الكريم شىء فى تعديلهم لأوجبت حالهم تعديلهم، لما كانوا عليه من الهجرة، والجهاد ونصرة الاسلام وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأبناء فى سبيل الله والمناصحة فى الدين وقوة الايمان واليقين[٢]

والرواية عن النبىﷺ رواية لدين، ورواية لمنهج كامل فى العقيدة والتشريع والاخلاق والسلوك ثم إن الرواية عن النبى ﷺ رواية عن المثل الاعلى الذى جعل الله فيه الاسوة الحسنة والقدوة الطيبة الذى جعل الله حديثه سنة وسنته تشريعا وتشريعه ومنهجا ومنهجه هو السنن القويم والصراط المستقيم[٣]

أسباب قلة الرواية فى العهد المكى وكثرتها فى العهد المدنى كان للصحابة رضوان الله عليهم جميعا، فضل بالغ، وخدمة جليلة ونعمه سابغة فى نقل أحاديث رسول اللهﷺ الى الأمة. ولكن تميز العهد المدنى

---

(١) صحيح ابن حبان جـ١٦ ص ٢٤٤ كما رواه الترمذى فى سننه جـ٦ ص ١٧٩ كما رواه أحمد فى مسند عبدالله ابن مغفل حجـ١ ص ٤٧.

(٢) محمد محمد ابو زهو الحديث والمحدثون ص ١٣٠،١٣١.

(٣) د/ الاحمدى ابو النور شذرات من علوم السنة – مرجع سابق جـ١ صـ١٤٦.

على العهد المكى بكثرة الرواية، ولذلك التميز بعض الأسباب التى من الممكن أن نلاحظها فيما يلى:

أولا مرحلة الاستضعاف التى كانت فى العهد المكى .

وربما كانت هذه المرحلة هى أهم الأسباب لقلة الرواية عن النبىﷺ وذلك لانشغال بعض الصحابة بالفرار من العذاب حينا والاستكانة والبعد عن الانظار حينا لآخر، بالاضافة الى ان النبى كان ينادى فى أهل مكة بالتوحيد ونبذ الشرك صبح مساء، وذلك خلال ثلاث عشر سنة، فكان من الطبيعى أن يتحدث الرسول إليهم والى غيرهم، خلال هذه المدة أكثر من الحديث فى المدينة، التى عاش فيها الرسول ﷺعشر سنين."

كانت مكة فى هذا الزمن تضطرب وتشهد حركات متشابكة، مسلمين مستضعفين ومسلمين مستخفين، ومسلمين مهاجرين، وزعماء قريش يضيقون على المسلمين الخناق، ويضاعفون تعذيبهم وقهرهم، ويحولون بين الهجرة وبينهم، وآباء يعذبون أبناءهم ويحبسونهم، وأغنياء يخرجون من أوطانهم وأهليهم وأموالهم[1]

ثانيا كثرة نزول القران الكريم فى العهد المكى

(1) د موسى شاهين لاشين: قصص من الحديث النبوى مكتبة الايمان – الطبعة الاولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م جـ١ ص١١٦.

ومن المعلوم أن عدد السور المكية اكثر من السور المدنية، وطالما كان نزول القران متواصلا، فلا حاجة الى البيان بالحديث الشريف، فلذلك كانت قلة الحديث المكى.

ثالثا: كثرة المؤمنين بالرسالة وبالرسول ﷺ فى العهد المدنى .

ويتبع ذلك كثرة من ينقل عنه ﷺفتزداد رواية الحديث كما هو الحال فى العهد المدنى

رابعا: تفرغ بعض الصحابة لرواية الحديث فى المدينة

كابى هريرة وعائشة وعبدالله بن عمرو وجابر رضى الله عنهم جميعا، فى مقابل أن العهد المكى لم يتفرغ فيه أحد لمثل هذا الأمر الها تفرغا كاملا. يروى الامام البخارى فى صحيحه "باب حفظ العلم" عن أبى هريرة قال "إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة ولولا آيتان فى كتاب الله ما حدثت حديثا، ثم يتلو "إن الذين يكتمون ماأنزلنا من البينات الهدى"البقرة١٥٩الى قوله "الرحيم" البقرة١٦٠ إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل فى أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ مالا يحفظون.

خامسا: زيادة عدد الصحابة ممن تعلموا القراءة والكتابة فى المدينة

ولأهمية هذا الأمر أن النبىﷺ فى غزوة بدر وضع شرطا لمن يريد من أسرى المشركين أن يفك أسره وهو يقرأ ويكتب أن يعلم عشرة من أبناء

المسلمين، فانعكس ذلك على تدوين الحديث بين يدى النبىﷺ وهذا لا ينفى كتابة الحديث الشريف فى العهد المكى، فقد كان ممن عرف القراءة والكتابة سبعة عشر رجلا منهم عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وعثمان وأبو عبيدة ومعاوية بن أبى سفيان وأبو سلمة(١)

وعبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه يكتب الحديث عن رسول الله فى مكة والدليل على هذا أنه كان يكتب كل ما يقوله النبىﷺ وحينما نهته قريش عن ذلك ذكر ذلك للنبىﷺ فقال له أكتب فلا يخرج من هذا إلا حقا وأشار الى فمه الشريف ﷺ وقد أثر عنه كتب ثلاثة" الصحيفة الصادقة- وقضاء رسول الله وبعض أقواله- وما يكون من الأحداث الى يوم القيامة"

غير أن زيادة وكثرة من كتب عن الرسول ﷺ فى المدينة كانت أوضح وأجلى فقد كانت لجابر بن عبدالله حلقة بالمسجد النبوى يكتب فيها الحديث ويدرس وكان عبدالله بن عقيل بن ابى طالب يقول كنت أختلف الى جابر بن عبدالله، أنا ومحمد بن على، ومحمد بن الحنفية، فنسأله عن سنن رسول الله، وسيره فنتعلم منه ونكتب كما كان كان لسمرة بن جندب رضى الله عنه (توفى سنة ٥٨ او ٥٩ على خلاف صحيفة روى فيها عن النبى ﷺ وعن ابى عبيدة وجهها الى بنيه والتى قال عنها ابن سيرين فى رسالة سمرة الى بنيه علم كثير .

(١) راجع الحديث والمحدثون: محمد ابوزهو ص ١٢٠.

ووجدت نسخة من هذه الصحيفة عن الحسن البصرى، وقد أثر عن ابن عون قال" وجدت عند الحسن كتاب سمرة فقرأته عليه"

كما كان لأبى رافع مولى رسول الله توفى سنة٣٥ كتاب حديثى دفعه الى ابى بكر بن عبدالرحمن القرشى ت٩٣هـ

كذلك كان عبدالله بن عباس رضى الله عنهما حريصا على الكتابة عن رسول الله وعمن سمع من رسول الله، ولقد كان يأتى أبا رافع فيقول له ما صنع رسول الله فى يوم كذا وكذا؟

رسول الله وعمن سمع من رسول الله، ولقد كان يأتي أبا رافع فيقول له ما صنع رسول الله في يوم كذا وكذا؟ حمليه ثم يسجل هذا بنفسه أو بواسطة كاتب يكون معه.

كما كان أنس بن مالك يكتب عن رسول الله وعمن سمع من رسول الله ولا يبالي بارتحال أو نصب "واجتمع له من هذا ذلك رصيد كبير، وكان إذا كثر عليه الناس للسماع منه يعمد إلى محال من كتب ويلقيها إليهم قائلا:

هذه كتب سمعتها من رسول الله وعرضتها عليه"[1]

سادسا: تميز العهد المدني برموز الرواية وكثرتهم بخلاف العهد المكي، وكان من أبرز هذه الرموز، أبو هريرة كما سبق، وأم المؤمنين عائشة،

---

(1) راجع د. الأحمدي أبو النور: شذرات من علوم السنة – مرجع سبق ج،١ ١١٥- ١٢٦.

وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأنس بن مالك الأنصاري، وعبد الله بن عباس الذي ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، أبو سعيد الخدري الأنصاري.

في مقابل من أسلم قبل الهجرة وكان من مكثري الرواية أيضا، ولكن ليس كسابقيهم في كثرة الرواية، كعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرو ابن العاص، وعبد الله بن مسعود.

وتتفاوت الرواية عن الصحابة قلة وكثرة بصفة عامة، سواء كانت الرواية مكية أو مدنية، فهناك بعض أسباب لذلك[1].

---

(1) كما يقول صاحب كتاب "الحديث والمحدثون "الحديث والمحدثون (ص : ١٤٧) عن قلة الرواية عن الصحابة وكثرتها بصفة عامة "كان الصحابة 4 معنيين بحفظ الحديث معنيين بحفظ الحديث، وكانوا يختلفون فيذلك قلة وكثرة، ولذلك أسباب خاصة تعرف من ترجمة كل صحابي على حدة وأسباب عامة نجملها لك فيما يلي:

أولا: الاشتغال بالخلافة والحروب عاق كثيرا من الصحابة عن تحمل الحديث وروايته كما في الخلفاء الأربعة وطلحة والزبير، وعلى العكس من ذلك مكن التفرغ من هذه الشواغل لكثير من الصحابة في كثرة التحمل والأداء، كما في أبي هريرة وعائشة وابن عمر وغيرهم.

ثانيا: طول الصحبة للنبي صلى الله عليه وسلم، وكثرة ملازمته سفرا وحضرا وانفساح الأجل بعد وفاته كان مدعاة للإكثار من تحمل الحديث، وروايته كما في ابن مسعود وأبي هريرة، وجابر بن عبد الله وأنس وابن عمر وغيرهم، ولهذا قلت أو عدمت رواية من مات في عهد النبوة أو بعدها بقليل، كما قلت رواية من لم تطل صحبته أولم تكثر ملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم.

ثالثا: تجدد الحوادث، واحتياج الناس إلى بيان أحكامها، كان سببا في كثرة الأداء والرواية، والحرص على طلب الحديث، حتى تعرف الأحكام الشرعية في مثل هذه الحوادث، التي لم يكن لهم عهد بمثلها فلهذا الحديث والمحدثون، (ص: ١٤٨) بادر الصحابة إلى إظهار ما عندهم من السنن، وتلقاها عنهم الناس بقبول ولهفة.

لقد كان لمعرفة راوي الحديث الشريف من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم جميعا، عامل كبير، في تحديد الحديث، هل هو حديث مكى ام هو حديث مدنى ويتبع ذلك معرفة متى أسلم، وكيف أسلم، وأين أسلم، ومتي قدم المدينة إن كان من المهاجرين.

رابعا: وقوع الفتنة وظهور الكذب في الحديث من بعض الفرق كالشيعة والخوارج، الذين وضعوا كثيرا من الحديث كان داعيا إلى قلة الأحاديث، التي ترى وإلى إلى التشدد فيمن يؤخذ عنه الحديث من الرواة.

ومن هنا قلت مرويات على رضي الله عنه، مما جعل أصحاب الحديث يستمدون أحاديثه من أصحاب ابن مسعود، كعبيدة السلماني، وشريح وأبي وائل ونحوهم، أو من أهل بيته الأثبات، ويرفضون ما رواه ذلك.

خامسا: كثرة الأتباع وقلتهم ونشاطهم، وخملوهم كان له أكبر الأثر في كثرة الرواية، وقلتها عن الصحابة رضي الله عنهم. فعثمان بن ع فان لم يصلنا معظم أحاديثه لقلة الآخذين عنه بسبب اشتغاله بالخلافة، والحروب وجمع القرآن الكريم إلى غير ذلك.

سادسا: قوة الحافظة وتقييد الحديث بالكتابة، كانا عاملين من عوامل الإكثار من الرواية. كما في أبي هريرة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومن على شاكلتها.

سابعا: التفرغ للعبادة والتحرج من رواية الحديث على غير اللفظ المسموع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، جعل كثيرا من الصحابة يحجمون عن رواية الأحاديث، أو يقلون منها مع اعتمادهم في تبليغ الحديث على كثرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين نصبوا أنفسهم لمهمة الرواية والأداء.

ثامنا: أن يكون الطريق إلى الصحابي ضعيفا، فيترك أصحاب الصحيح تخريج حديثه كما في أبي عبيدة بن الجراح، أمين هذه الأمة لم يصح إيه الحديث من جهة الناقلين، فلم يخرج له في الصحيحين".

ولذلك سوف يكون لضابط الراوي من جملة الضوابط الموضوعية للتمييز بين الحديث المكي وبين الحديث المدني بذكر علامات عرفت بها الأحاديث المدنية ورواتها، ولقلة الرواية في العهد المكي، وفي ذكر الضوابط المدنية بالنسبة للرواة فائدة كبيرة، لأن بذكرها نستطيع معرفة الحديث المكي أيضا، وبأضدادها تعرف الأشياء فمثلاً:

_١- كل حديث روته الأنصار أو ذكر فيه فضل الأنصار فهو حديث مدني:

مثال ذلك، عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار"[١] . حديث متفق عليه.

كذلك ما رواه الإمام الترمذي في سننه باب في فضل الأنصار وقريش عن الطفيل بن أبي بن كعب، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لولا الهجرة لكنت أمرأً من الأنصار"[٢] .

وما رواه الإمام الشافعي في مسنده باب" في فضل الأنصار" كذا رواه البخاري قال: أخبرنا عبد العزيز بن محمد، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه

(١) صحيح البخاري باب علامة الإيمان حب الأنصار جـ١ ص١٢.

(٢) سنن الترمذي جـ٦ ص ١٩٥.

وسلم: قال: "لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار" ولو أن الناس سلكوا واديا أو شعبا لسلكت وادي الأنصار أو شعبهم"[1]

وروي الإمام مسلم بسند قال: قال رسول الله μ: "اللهم غفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار".

- **ويستثني من ذلك ما رواه الأنصار من أحاديث فيه قرينة تدل على أنه مكي كبيعة العقبة، فهي أحاديث مكية لأنها كانت قبل الهجرة باتفاق الأمة.**

"ففي السنة الحادية عشرة من النبوة كان ابتداء إسلام الأنصار رضي الله عنهم.

وفي السنة الثانية عشرة من النبوة كان الإسراء والمعراج. وفيها وقعت بيعة العقبة الأولى.

وفي السنة الثالثة عشرة من النبوة كانت بيعة العقبة الثانية التي هي الكبرى، وبعضهم يسميها العقبة الثالثة"[2] .

وعن جابر بن عبد الله، قال: مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين، يتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة، وفي المواسم بمني،

---

(1) صحيح البخاري جـ٥ ص ٣١.

(2) على بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (المتوفى: ١٠٤٤هـ): السيرة الحلبية "إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون "الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الثانية – ١٤٢٧هـ، كذلك راجع سيرة راجع سيرة ابن هشام

يقول: من يؤويني؟ من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي، وله الجنة؟" حتى إن الرجل ليخرج من اليمن، أو من مصر – كذا قال – فيأتيه قومه، فيقولون: احذر غلام قريش، لا يفتنك، ويمشي بين رجالهم، وهم يشيرون إليه بالأصابع، حتى بعثنا الله له من يثرب، فآويناه، وصدقناه، فيخرج الرجل منا فيؤمن به، ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين، يظهرون الإسلام، ثم ائتمروا جميعا، فقلنا: حتى متى نترك رسول الله صلى الله عليه وسلم يطرد في جبال مكة ويخاف؟ فرحل إليه منا سبعون رجلا حتى قدموا عليه في الموسم، فواعدنا شعب العقبة، فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين حتى توافينا، فقلنا: يا رسول الله، علام نبايعك، قال: تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله، لا تخافون في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني، فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم، وأزواجكم، وأبناءكم، ولكم الجنة" قال: فقمنا إليه فبايعناه، وأخذ بيده أسعد بن زرارة، وهو من أصغرهم، فقال: رويدا يا أهل يثرب، فإنا لم نضرب أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن إخراجه اليوم مفارقة العرب

كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك، وأجركم على الله، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم جبينه، فبينوا

ذلك، فهو أعذر لكم عند الله، قالوا: أمط عنا يا أســـعد، فو الله لا ندع هذه البيعة أبدا، ولا نســـلبها أبدا، قال: فقمنا إليه فبايعناه فأخذ علينا، وشرط، ويعطينا على ذلك الجنة"[1].

وعلى الرغم أن الحديث رواه جابر بن عبد الله، وهو أنصـــاري، إلا أن هذا الحديث الشـــريف يدرج في الأحاديث المكية لاعتبارات حددها الباحث من قبل وهي أن الهجرة المباركة هي العامل الفصـــل في معرفة المكي من المدني في الحديث النبوي.

كذلك لورود الحديث الشريف في بيعة العقبة، وهو المكان المعروف.

- **أعلام الرواة في المدينة. .**

١- أما المؤمنين عائشـــة[2]: فمعظم الأحاديث التي روتها هي أحاديث مدنية

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده "مسند جابر بن عبدالله" جـــ٢٢ ص ٣٤٦ وكذلك ابن حبان في صحيحة باب "وصف بيعة الأنصار" جـ١٤ ص ١٧٣.

(٢) هي: عائشة بنت أبي بكر الصديق، إحدى أمهات المؤمنين، وزوج النبي صلى الله عليه وســـلم، ولدت بعد بعثة النبي بســـنتين على أحد الأقوال. ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها، وهي بنت ست سنين وبني بها، وهي بنت تسع سنين في شوال من السنة الأولى للهجرة. وقيل من السنة الثانية بعد منصرفة في بدر، توفيت رضي الله عنها سبع وخمسين من الهجرة.

إلا ما كان فيه قرينة من قرائن الحديث المكي السابقة فهو حديث مكي كما في أحاديث الإسراء والمعراج.

كانت عائشة معدودة من المكثرين لرواية الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. روى لها ألفان ومائتان وعشرة أحاديث "٢٢١٠"، اتفق الشيخان من ذلك على مائة وأربعة وسبعين حديثا. وانفرد البخاري بأربعة وخمسين ومسلم بثمانية وستين.

قال مسروق: رأيت مشيخة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأكابر يسألونها عن الفرائض.

٢- جابر بن عبدالله[١]: معظم الأحاديث التي رواها هي أحاديث مدنية

إلا ما كان يروى وقائع ما قبل الهجرة، كما في أحاديث بيعة العقبة فهي أحاديث مكية.

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن كثير من أصحابه كأبي بكر، وعمر وعلي. وروى عنه أولاده عبد الرحمن وعقيل ومحمد. وكثير

---

(١) هو: جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري، السلمي، الصحابي ابن الصحابي أحد المكثرين من رواية الحديث، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومناقبه رضي الله عنه كثيرة: منها ما رواه الشيخ عنه قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية: "أنتم اليوم خير أهل الأرض"، وكنا ألفا وأربعمائة. قال جابر: لو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة.
كف بصره في أواخر عمره، وتوفي سنة ثمان وسبعين من الهجرة على أحد الأقوال رضي الله عنه.

من التابعين كسعيد بن المسيب، وعمرو بن دينار والحسن البصري، وغيرهم.

استشهد والده في غزوة أحد، وترك بنات صغارا ودينا كبيرا، مما جعل جابر يذوق نصب الحياة وشظف العيش. إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم تلقاه بعطفه وكرمه ورعاه بعنايته، حتى قضى دينه.

عاش جابر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة وستين عاما، قضاها في نشر الحديث حتى روى له "١٥٤٠" ألفا وخمسمائة وأربعين حديثا. اتفق البخاري ومسلم منها على ستين حديثا. وانفرد البخاري بستة وعشرين حديثا ومسلم بمائة وستة وعشرين حديثا.

٣- أبو سعيد الخدرى[١].. معظم أحاديث مدنية:

---

(١) سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي، استشهد أبوه يوم أحد، ولم يترك له مالا فتحمل أبو سعيد هموم العيش ومصاعب الحياة صغيرا، لكن لم يمنعه ذلك عن حضور مجالس النبي صلي الله عليه وسلم، وتلقي الحديث عنه في رغبة وحرص فائقين، حتى تحمل عنه ما لم يتحمله من كان في مثل متاعبه المعيشية، فعد بحق من مشهوري الصحابة، وفضلائهم ومحدثيهم المكثرين ورواتهم النابهين.

وشهد مع النبي صلي الله عليه وسلم اثنتي عشرة غزوة أولاها الخندق. وكان قوالا للحق، لا يرهب فيه أحدا مهما كان سلطانه، وعظيم شأنه. توفي أبو سعيد بالمدينة سنة أربع وسبعين عن بضع وثمانين سنة.

نشر فيها كثيرا من الحديث، وكان محل تقدير الصحابة والتابعين، فرضي الله عنه.

عاش أبو سعيد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة وستين عاما، مكنته من تحمل الحديث عن كبار الصحابة ثم نشره، وأدائه إلي الناس، لذلك كثر المروي عنه حتى جاوز الألف. فقد نقل عنه أصحاب الحديث "١١٧٠" ألفا ومائة وسبعين حديثا اتفق الشيخان منها على "٤٦" ستة وأربعين وانفرد البخاري "١٦" بستة عشر حديثا، ومسلم باثنين وخمسين حديثا "٥٢".

روى الحديث عن أبي سعيد كثير من الصحابة والتابعين، فمن الصحابة جابر وزيد بن ثاب، وابن عباس، وأنس وابن عمر وابن الزبير. ومن التابعين سعيد بن المسيب وأبو سلمه، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وعطاء بن يسار وغيرهم.

٤- أنس بن مالك[١]: أغلب الأحاديث التي رواها هي مدنية:

---

(١) هو أنس بن مالك بن النضر الأنصاري، الخزرجي النجاري، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزيل البصرة. جاءت به أم سليم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة، وقالت يا رسول الله: هذا غلام يخدمك، فقبله النبي صلى اله عليه وسلم. فوجد أنس فيه أكبر العزاء عن والده، ونشأ في بيت النبوة، وشاهد ما لم يشاهده غيره، ووقف من أحوال النبي، وأفعاله على الشيء الكثير.

وروى البخاري في تاريخه عن قتادة قال: لما مات أنس قال مورق: ذهب اليوم نصف العالم قبل له كيف ذلك؟ قال كان الرجل من أهل الأهواء إذا خالفنا في الحديث قلنا: تعال إلى من سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم.

أمد الله في عمر أنس رضي الله عنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثمانين عاما، فساعده ذلك على تلقي الكثير من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن الكبار من أصحابه بعده. كما أمكنه طول حياته من نشر الحديث بين الناس.

استقر بالبصرة بعد المدينة، وتصدر للرواية، وتخرج عليه كثير من أئمة الحديث من التابعين، أمثال الحسن وابن سيرين، وحميد الطويل، وثابت البناني وغيرهم.

روى لأنس ألف ومائتان وستة وثمانون حديثا "١٢٨٦" اتفق الشيخان منها على مائة وثمانية وستين. وانفرد البخاري بثلاثة وثمانين. ومسلم بواحد وسبعين.

٥- عبدالله بن عباس[١]: معظم الأحاديث التي رواها مدنية:

وكانت وفاة أنس خارج البصرة على نحو فرسخ ونصف، ودفن في موضع يعرف بقصر أنس، والصحيح الذي عليه الجمهور أنه توفي سنة ثلاث وتسعين من الهجرة.

(١) هو، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أخت زوجه ميمونة بنت الحارث الهلالية أم المؤمنين. ولد قبل الهجرة بثلاث سنين على الأصح، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ابن ثلاث عشرة سنة على أحد الأقوال. في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم ضمه إليه، وقال: "اللهم علمه الحكمة". استعمله على رضي الله عنه على البصرة، فبقي أميرا عليها، ثم فارقها قبل مقتل علي، وعاد إلى الحجاز فقضي

كان لابن عباس بحكم قرابته من النبي صلى الله عليه وسلم، وصغر سنه واختلاطه كثيراً برسول الله صلى الله عليه وسلم، مكنه من كثرة الرواية عنه صلى الله عليه وسلم، أضف إلي هذا ميله الطبيعي إلى تحصيل الحديث، وشغفه العظيم به مما وجه نظر النبي صلى الله عليه وسلم إليه فسر به ودعا له.

أن ابن عباس كان أمة وحده في العلم والحديث، روى له ألف وستمائة وستون حديثا، اتفق الشيخان على رواية خمسة وتسعين منها وانفرد البخاري بمائة وعشرين، ومسلم بتسعة وأربعين.

٦- أبو هريرة[١]: أكثر الأحاديث التي رواها مدنية

إلا ما كان فيه قرينة من قرائن الحديث المكي السابقة.

وجاء عنه من الحديث خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثا "٥٣٧٤" اتفق الشيخان منها على ثلاثمائة وخمسة وعشرين "٣٢٥"،

أخربات أيامه يعلم الناس بمكة، وتوفي بالطائف سنة ثمانية وستين من الهجرة، فرضي الله عنه.

(١) هو، عبد الرحمن بن صخر وكنيته أبو هريرة، أسلم وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم عام خيبر سنة سبع من الهجرة في المحرم. وهو أحفظ من روى الحديث في دهر، بشهادة الإمام الشافعي رضي الله عنه وغير، توفي أبو هريرة بالمدينة سنة "٥٧" سبع وخمسين من الهجرة على المعتمد عن ثمانية وسبعين عاما رضي الله عنه.

وانفرد البخاري بثلاثة وتسعين "٩٣" ومسلم بمائة وتسعة وثمانين "١٨٩"[١].

أما باقي الأحاديث التي روتها الصحابة من المهاجرين فيحتمل فيها الأمران ولا يحكم فيه بأنه مكي أو مدني إلا بقرينة تدل على ذلك. السبب في ذلك أن الصحابة من الهاجرين كانوا مع رسول الله قبل

---

(١) * راجع في كل ما سبق من سير الصحابة:
الثقات لابن حبان المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدرامي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)- طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية- الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند الطبعة: الأولى، ١٣٩٣هـ -١٩٧٣- والطبقات لابن سعد أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ): الطبقات الكبرى- المحقق: زياد محمد منصور- الناشر: مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة- الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ وتاريخ مولد العلماء ووفياتهم أبو سليمان محمد بن عبد الله بن ربيعة بن سليمان بن خالد بن عبد الرحمن بن زبر الربعي (المتوفى ٣٧٩هـ المحقق: د. عبد الله أحمد سليمان الحمد الناشر: دار العاصمة- الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١٠- والهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد رجال صحيح البخاري: أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن، أبو نصر البخاري الكلاباذي (المتوفى: ٣٩٨هـ)- المحقق: عبد الله الليثي الناشر: دار المعرفة- بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٧- والحديث والمحدثون محمد أبو زهو.

الهجرة وبعدها، ورووا قبل الهجرة وبعدها، فمن الصعب تحديد معرفة الحديث من خلالهم، والتمييز بأنه مكي أو مدني من خلال الراوي في هذه الحالة.

- **أعلام الرواة في مكة والمدينة:**

وكان ممن رووا وأكثروا رواية الأحاديث في العهد المكي والمدني:

١- عبد الله بن عمر بن الخطاب[١]:

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن أبيه وعمه زيد وأخته حفصة أم المؤمنين، وأبي بكر وعثمان وعلي وبلال وزيد بن ثابت، وصهيب وابن مسعود وعائشة، ورافع بن خديج وغيرهم.

وروى عنه خلق كثير فمن الصحابة ابن عباس، وجابر والأغر المزني وغيرهم. ومن التابعين أولاده الأربعة بلال وحمزة، وسالم وعبد الله ومولاه نافع وأسلم "مولى عمر"، وزيد وخالد ابنا أسلم، وعروة بن الزبير وغيرهم.

---

(١) أسلم عبد الله قديما، وهو صغير وهاجر مع أبيع وقيل قبله. وشهد الخندق وما بعدها من المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن بعده شهد اليرموك وفتح مصر، وأفريقية وكان شديد الإتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم.
كانت وفاته رضي الله عنه سنة ٧٣هـ بعد مقتل عبد الله بن الزبير بثلاثة أشهر، وعمر، سبع وثمانون عاما علي المعتمد.

قال الزبير بن بكار: إن كان ابن عمر ليحفظ ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويسأل من حضر –إذا غاب– عن قوله وفعله.

كان عبد اله من المكثرين، فقد روى له ألف وستمائة وثلاثون حديثا، أتفق الشيخان من ذلك على مائة وسبعين وانفرد البخاري بواحد وثمانين ومسلم بواحد وثلاثين. والباقي رواه غيرهما.

٢– عبد الله بن عمرو بن العاص[١]:

لقد توفر للصحابي الجليل عبد الله بن عمرو من أسباب التي تجعله من أكثر الصحابة رواية للحديث الشريف والإكثار منه، ما لم يتوفر لغيره، فقد تقدم إسلامه وحفظ الحديث في صدره ووعاه بقلبه، ودونه بقلمه في الصحف حتى نقل عنه أنه قال: "حفظت عن النبي صلى الله عليه وسلم ألف مثل".

ورغم ذلك نجد أن ما روي عنه من الحديث، لا يتناسب مع غزارة علمه وكثرة ما حفظه وكتبه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم

---

(١) هو، أبو محمد عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي، السهمي. أسلم قبل أبيه وكان مجتهدا في العبادة مكثرا لتلاوة القرآن، كما كان أكثر الناس أخذا للحديث والعلم عن رسول الله صلي الله عليه وسلم، ومسروق، وغيرهم، وتوفي بمصر على أحد الأقوال سنة ٦٣من الهجرة عن اثنين وسبعين عاما عاش منها بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة وخمسين عاما.

يصلنا عنه سوى سبعمائة حديث اتفق الشيخان منها على سبعة عشر، وانفرد البخاري بثمانية ومسلم بعشرين.

روى عن عبد الله بن عمرو خلائق كثيرون من التابعين، منهم سعيد بن المسيب وعروة وأبو سلمه، وحميد ابنا عبد الرحمن.

٣- عبد الله بن مسعود[١]:

من المتقدمين في الإسلام، وقدر روى الحديث عن ابن مسعود خلق كثير: فمن الصحابة أبو موسى الأشعري وعمران بن حصين، وابن عباس وابن عمر، وجابر وأنس وابن الزبير، وأبو سعيد الخدري وأبو هريرة، وأبو رافع إلى غير هؤلاء من الأعلام. ومن التابعين علقمة وأبو وائل والأسود، ومسروق وعبيدة وقيس بن أبي حازم، وغيرهم من كبار التابعين.

روى لابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ثمانمائة وثمانية وأربعون حديثا اتفق الشيخان منها على أربعة وستين حديثا، وانفرد البخاري بواحد وعشرين حديثا ومسلم بخمسة وثلاثين حديثا[٢].

---

(١) هو، أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود، ينتهي نسبه إلى هذيل بن مدركة بن إلياس واسم أمه أم عبد بنت عبد ود بن سواء بن هذيل أيضا أسلمت وهاجرت، أسلم عبد الله قديما حين أسلم سعيد بن زيد، قبل إسلام عمر ابن الخطاب- توفي ابن مسعود بالكوفة، وقيل بالمدينة ٣٢هـ عن بعض وستين سنة.

(٢) راجع في كل ما سبق: الثقاب لابن حبان (المتوفى: ٣٥٤هـ)- طبع بإعانة:

ضوابط بعرفة المكان:

تحدثنا في الصفحات السابقة عن ضابطين "صيغة الخطاب- ومعرفة الراوي وها نحن نتكلم عن الضابط الثالث «**ضوابط بعرفة المكان**».

للمكان اعتباره في معرفة الحديث الشريف هل هو مكي أم مدني، وتقصى معرفة المكان تساعد بشكل كبير في ضبط هذا الأمر وتحريه، مع العوامل الأخرى ولكن كما سبق في فإن العامل المحدد لمعرفة الحديث الشريف هو العامل الزمني فما كان قبل الهجرة فهو حديث مكي وما كان بعد الهجرة فهو حديث مدني، وما نتكلم فيه هنا بعض العوامل المساعدة في ضبط الحديث، ومعرفة المكان جزء من ذلك.

وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية- الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند الطبعة: الأولى، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣ والطبقات لابن سعد وتاريخ مولد العلماء ووفياتهم أبو سليمان محمد بن عبد الله بن أحمد بن ربيعة بن سليمان بن خالد بن عبد الرحمن بن زبر الربعي (المتوفى: ٣٧٩هـ المحقق: د. عبد اله أحمد سليمان الحمد الناشر: دار العاصمة- الرياض الطبعة: الولى، ١٤١٠- والهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد رجال صحيح البخاري- المؤلف: أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن، أبو نصر البخاري الكلاباذي (المتوفى: ٣٩٨هـ)- المحقق: عبد الله الليثي الناشر: دار المعرفة- بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٧- والحديث والمحدثون محمد أبو زهو.

فمثلاً: الأحاديث التي جاء في ذكرها مكة وكانت في أحداثها ما قبل الهجرة فهي أحاديث مكية.

كذلك إذا ذكرت الطائف مثلا في حديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم فهو حديث مكي، كما جاء في أحاديث خروجه صلى الله عليه وسلم إليها قبل الهجرة، و**لكن قد تذكر الطائف في الحديث الشريف وتكون هذه الأحاديث مدنية** كما جاء من باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان من الهجرة المباركة.

روى البخاري في صحيحة عن عبد الله بن عمر، قال: لما حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف، فلم ينل منهم شيئا، قال: «نقفل». فقال: «اغدوا على القتال». فغدوا فأصابهم جراح، فقال: «إنا قافلون غدا إن شاء الله». فأعجبهم، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم"[1].

وهنا تقدر الأمور بقدرها، وذلك بحسب القرينة التي توضح متى وأين كان الحديث كما يمكن معرفة الحديث الشريف بأنه مدني:

إذا ذكرت المدينة في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، بأسمائها المختلفة أو أحد معالمها أو ما حولها فهي تدل على أن الحديث مدني.

---

(1) صحيح البخاري جـ٥ ص١٥٦.

ويستثنى من ذلك الأحاديث التي جاءت قبل الهجرة وإن قيلت بالمدينة ومنها ما رواه الإمام البخاري عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فهذب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب، ورأيت في رؤياي هذه أني هززت سيفا، فانقطع صدره فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هززته بأخرى فعاد أحسن ما كان فإذا هم المؤمنون يوم أحد، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق، الذي آتانا الله بعد يوم بدر»[1].

كما يمكن معرفة الأحاديث أيضا إذا ذكر ما حولها من أماكن، كأن يذكر في الحديث الشريف مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم أو أحد معالم المدينة فيعرف بأنه حديث مدني.

روى الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن عفريتا من الجن تفلت علي البارحة- أو كلمة نحوها- ليقطع علي الصلاة، فأمكنني الله منه، فأردت أن أربطه إلي سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان: قَالَ رَبِّ هَبْ لي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِى "قال رح: «فرده خاسئا»[2].

---

(1) صحيح البخاري باب علامات النبوة جـ٤ ص٢٠٣.

(2) صحيح البخاري باب الأسير -أو الغريم- يربط في المسجد جـ١ ص٩٩.

وكما روى الإمام البخاري بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: «ما هذا الحبل؟» قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا حلوه ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد»[1].

وهذا يدل على أن المراد بالمسجد في الحديثين السابقين هو المسجد النبوي الشريف وهذا يعنى أنه يمكن التصنيف بأنهما من الأحاديث المدينة.

وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

(1) صحيح البخاري باب ما يكر، من التشديد في العبادة جـ٢ ص٥٣.

ضوابط بمعرفة الفرائض الأركان:

يضاف إلي الضوابط السابقة ضابط أخر يزيد في تحديد المكي من المدني للحديث الشريف، وهذا الضابط يتمثل في معرفة أركان الإسلام وبعض أحكامه، فمن خلال معرفة السنة أو العام الذي تم فيه تشريع الركن، نعرف أن أحاديث هذا الركن مكية أم مدنية.

وفي الأغلب سنجد أن هذه الضوابط تتجه إلى المدنية أكثر من المكية لأن أحاديث الفرائض والأركان مدنية باستثناء الصلاة، فقد فرضت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء والمعراج، كذلك في الزكاة فقد فرضت في مكة قبل الهجرة، ولكن لم يحدد فيها المقدار ثم حدد بعد ذلك مقدار الزكاة وفصلت أنواعها في السنة الثانية للهجرة.

ولذا تتداخل الأحاديث فيها بين مكية ومدنية ألا أن مدنية الأحاديث سوف تكون سمة غالبة في هذا الضابط.

ومثال ما جاء في الصلاة، وذلك حين ينسى المسلم بعض فروضها أو ينام عنها:

أخرج الإمامان البخاري ومسلم عن أنس قال: قال رسول الله: "من نام على صلاة أو نسيها، فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾ (طه:١٤)[١].

فهذا حديث مكي والمرجح في ذلك ما جاء في سبب ورود الحديث عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به نام حتى طلعت الشمس فصلى وقال من نام عن الصلاة أو نسيها فليصلها حين ذكرها، ثم قرأ ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾.

ولكن سنجد بعض الشواهد القطعية على مدنية الأحاديث كما في أحاديث الأذان وصلاة العيدين كما رواه الإمام البخاري بسنده عن نافع، باب بدء الأذان أن ابن عمر، كان يقول: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة ليس ينادي لها، فتكلموا يوما في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى وقال بعضهم: بل بوقا مثل قرن اليهود، فقال عمر: أولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا بلال قم فناد بالصلاة»[٢].

ففي هذا الحديث قرائن عدة تدل على أنه حديث مدني كقول ابن عمر كان **المسلمون حين قدموا المدينة**، فهذا ضابط المكان،

---

(١) صحيح البخاري جـ١ ص١٢٢.

(٢) صحيح البخاري جـ١ ص١٢٤ وكذا رواه مسلم جـ١ ص ٢٨٥.

بالإضافة إلي ضابط معرفة الأركان، وهو أن الأذان شرع في السنة الأولى للهجرة.

كذلك في صلاة العيدين لأن صلاة العيدين شرعت في السنة الأولى للهجرة، فكل حديث شريف يأتي فيه فضل صلاة العيدين ومشروعيتهما فهو حديث مدني.

- **كل الأحاديث التي جاءت في الصيام وفضل شهر رمضان، كذلك في الاعتكاف وفضله، فهي أحاديث مدنية**، وذلك لأن الصيام فرض في شعبان من السنة الثانية للهجرة.
- **كل أحاديث العمرة والحج فهي أحاديث مدنية** لأن الحج فرض في السنة السادسة من الهجرة، يضاف إلى ذلك الأحاديث التي جاءت في دخول مكة والبيت الحرام والطواف وغير ذلك من مناسك الحج، فهي أحاديث مدنية، لأنها كانت بعد الهجرة والمعتبر بالمكي والمدني الهجرة المباركة أو ما نسميه بالعامل الزمني.
- **كل الأحاديث التي وردت في الحدود فهي مدنية:**

كما في أحاديث تحريم الخمر، كذلك في تحريم الزنا وحَدهما.

ففي صحيح البخاري ومسلم باب الحدود والكفارات عن عبادة بن الصامت، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس، فقال: «تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، فمن وفي منكم فأجره على الله،

ومن أصاب شيئا من ذلك فعوقب به فهو كفارة له، ومن أصاب شيئا من ذلك فستره الله عليه، فأمره إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه»[1].

- كل الأحاديث التي وردت في الفرائض "المواريث" فهي مدنية:

وقد شرعت الفرائض في السنة الثانية للهجرة بعد غزوة أحد.

فعن جابر، رضي الله عنه قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع فقالت: يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك يوم أحد شهيدا وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا، فقال: «يقضي الله في ذلك» فنزلت آية الميراث، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمهما فقال: «أعط ابنتي سعد الثلثين وأمهما الثمن وما بقي فهو لك»[2]

وكان ذلك سببا في نزول قوله تعالى " يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن

---

(1) صحيح البخاري جـ٨ ص١٥٩ وكذا في صحيح مسلم باب الحدود والكفارات جـ٣ ص١٣٣٣.

(2) أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) المستدرك على الصحيحين- تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١١- ١٩٩٠ جـ١ ص٣٧٠.

كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَآؤُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيما حَكِيمًا" (النساء: ١١).

- كل الأحاديث التي وردت في الجهاد والاستشهاد مدنية:

شرع الجهاد في السنة الثانية من الهجرة ولذلك فأن الأحاديث التي جاءت في الجهاد والاستشهاد كلها بالمدينة، ومن ذلك ما رواه الإمام البخاري في باب فضل الجهاد والسير بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: يا رسول الله، أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة على ميقاتها»، قلت: ثم أي؟ قال: «ثم بر الوالدين»، قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» فسكت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو استزدته لزادني"[١].

وروى البخاري في باب فضل الجهاد عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا»[٢] وإن كان الحديث الأخير قد

(١) صحيح البخاري باب فضل الجهاد والسير جـ٤ ص١٤.

(٢) صحيح البخاري باب فضل الجهاد جـ٤ ص١٥.

قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة إلا أنه يعد من الأحاديث المدنية، لأنه جاء بعد الهجرة.

ومن الأمثلة على ذلك أيضا عن أبي هريرة، قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل؟ قال: «لا تستطيعونه»، قال: فأعادوا عليه مرتين، أو ثلاثا كل ذلك يقول: «لا تستطيعونه»، وقال في الثالثة: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صيام، ولا صلاة، حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى»[1].

فهذه الأحاديث الشريفة السابقة كلها مدنية، كما أن كل الأحاديث التي ترد في هذا الباب مدنية أيضا.

- **معظم أحاديث الربا**:

كان من الممكن أن نقول كل أحاديث الربا، بدلا من معظم أحاديث الربا، ولكن خوفا من وجود بعض الأحاديث ربما تكون موجودة في الزمن المكي، لأن أول الآيات نزولا للبعد وعدم التعامل بالربا كان آيات مكية. فتحرزا من ذلك، ذكرنا هذا "**معظم أحاديث الربا**" وليس كل أحاديث الربا خوفا من الزلل.

---

(1) صحيح مسلم جـ٣ ص١٤٩٨.

وفي القرآن الكريم تحدث عن الربا في عدة مواضع مرتبة ترتيبا زمنيا، ففي العهد المكي نزل قول الله سبحانه: ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلاَ يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُون﴾ (الروم: ٣٩) وفي العهد المدني نزل تحريم الربا صراحة في قول الله سبحانه: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون﴾ (آل عمران ١٣٠).

وآخر ما ختم به التشريع قول الله سبحانه: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين* فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُون﴾"[1] (البقرة ٢٧٨، ٢٧٩).

- كل أحاديث المزارعة والإجارة والمساقاة وإحياء الموات فهي أحاديث مدنية

الشواهد في هذا الصدد تطول عن الذكر، ولكن الذي يتضح من الأمر، أن أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم كانت بهذا الخصوص في المدينة لتنظيم العلاقة بين الناس وبخاصة أن المدينة تكثر فيها الزروع والبساتين، بخلاف مكة فليس فيها هذا الأمر فلا حاجة لذكره

(١) سيد سابق: فقه السنة الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان الطبعة: الثالثة، ١٣٩٧ هـ- ١٩٧٧م جـ٣ ص١٨٦.

في أحاديث النبي صـــلى الله عليه وســـلم المكية، ولذا كانت أحاديث الرسول في هذا الصدد مدنية.

وعلى كل – فهذه الضوابط السابقة بأقسامها الأربعة:

- **ضوابط بحسب صيغة الخطاب النبوي– ضوابط بمعرفة الراوي– ضوابط بمعرفة المكان.**
- **ضوابط بمعرفة الفرائض والأركان.**

من الممكن الإضافة إليها ضوابط أخرى، كلما وجدنا ضابطا يساعد في تحدد الحديث المكي من المدني في الحديث النبوي.

الفصل الرابع
الفوائد المرجوة من معرفة المكي والمدني في الحديث النبوي

- معرفة خصائص وسمات حديثه الشريف، والتمييز بين خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المكي والمدني.
- استجلاء مقصد النبي صلى الله عليه وسلم الأمثل من قوله وفعله وتقريره.
- كعامل مساعد على ضبط الرواية، بالإضافة إلى القواعد المعمول بها في علم الدراية وعلوم مصطلح الحديث.
- ضبط عملية الاستدلال بالحديث النبوي، ووضع الحديث الشريف في موضعه الصحيح حين الاستشهاد به.
- استكشاف معان ومفاهيم جديدة تحتاج إليها العلوم وبخاصة

* علوم اللغة العربية * علوم الدعوة
* علوم الحديث * علوم الشريعة

- وضع مكي ومدني في بداية الحديث سيُلخص أمورا كثيرة يحتاج إليها القارئ أو الباحث.

*** بعض الفوائد المرجوة من معرفة المكي والمدني في الحديث النبوي:**

- «إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا»..

كان من العسير أن أبدأ في تصنيف هذه الرؤية، لأنها على غير المألوف لدى بعض الناس، وذلك لأنهم قصروا تصنيف المكي والمدني على القران الكريم وحده، وظنوا ظن غير الموقن، أنه لا يجوز أن تُطبق هذه القاعدة في غير ذلك، وهذا بالطبع غير صحيح.

وكثيرا ما تضر الظنون العلم ولا تنفعه، وتثبط العالم عن الإبداع وعن والاختراع والابتكار، وتصرفه كذلك عن الخوض في غمار علوم ظن فيها ظن المخطئ أنه توقف البحث فيها، مع أنها على غير كذلك.

أو أنه لو قام بالبحث فيها، ستزيل القداسة عن شيء أخر، فيترك البحث فيها، واهما ظانا، غير موقن، مدبرا غير مقبل.

وذلك لم أبداه البعض من اعتراض على هذه الدراسة، حيث توهم هؤلاء أن تصنيف رؤية جديدة عن المكي والمدني في الحديث النبوي ستشارك القرآن الكريم في منزلته، أو تقلل من قداسته في قلوب المسلمين.

وحاشا أن أفعل ذلك، أو أهم بشيء يغضب الله تعالى، ويغضب رسوله صلى الله عليه وسلم. وما قمت به في هذه الدراسة والرؤية

الجديدة، ما هو إلا محبة في ديني، وإخلاص لعقيدتي، وطمع في شفاعة رسولي صلى الله عليه وسلم.

ولكن كان ظن هؤلاء كان في غير محله، وهذا ما نهى عنه رب العزة في **مجالات كثيرة، كمجال العقيدة وغيرها من مجالات العبادات والسلوك والأخلاق والعلم والتعلم.**

وتعد هذه المجالات من أخطر المجالات التي لا ينفع معها الظن، أو الشك أو إتباع الهوى، وضلال السابقين الذين بنوا عقائدهم وعلومهم ومعارفهم على الضلال والإضلال.

ففي مجال العقيدة يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُون (١١٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِين (١١٧)﴾ ويقول تعالى ﴿أَلا إِنَّ لِلّهِ مَن فِي السَّمَاوَات وَمَن فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ شُرَكَاء إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُون﴾ [يونس: ٦٦].

ومجال العقيدة لا ينفع معه الظن، بل لابد من اليقين الذي لاشك فيه، وهو يقول "لهم أترون أنى- بعد ظهور البيان ووضوح البرهان-

أذر اليقين، وأوتر التخمين وأفارق الحقّ، وأقارن الحظ؟ إن هذا محال من الظن"[1]

"وأنه تعالى لما أجاب عن شبهات الكفار ثن بين بالدليل صحة نبوة محمد على الصلاة والسلام بعد أن بين زوال الشبهة وظهور الحجة لا ينبغي أن يلتفت العاقل إلى كلمات الجهال ولا ينبغي أن يشوش بسبب كلماتهم الفاسدة"[2]

- كذلك النهى عن التقليد الأعمى في مجال الإيمان بالرسل وبالكتب المنزلة.

فلا بد فيه من الانصياع إلى صوت السماء، والإصغاء إلى رسل الله، وإلى وحى الله وما نزل من الحق، قال تعالى:

---

(1) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ): لطائف الإشارات (تفسير القشيري) المحقق إبراهيم البسيوني الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر الطبعة: الثالثة جـ١ صـ٤٩٦.

(2) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ): مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الثالثة- ١٤٢٠هـ جـ١٣ ص١٢٦.

﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُون (٢١) بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُون (٢٢)﴾ [الزخرف: ٢١، ٢٢]

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُون (٢٣) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُون (٢٤) فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِين (٢٥)﴾ [الزخرف: ٢٣-٢٦]

- كذلك النهى عن الظن في مجال تنزيه الذات الإلهية عن الشريك والولد:

قال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾ ثم يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلآئِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنثَى (٢٧) وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا(٢٨)﴾ [النجم: ٢٧، ٢٨]

"وكما أنّ ظنّ الكفار أوجب لهم الجهل والحيرة والحكم بالخطأ- فكذلك في هذه الطريقة: من عرَج على أوصاف الظنّ لا يحظى بشيء من الحقيقة فليس في هذا الحديث إلا القطع والتحقّق، فنهارهم قد متع، وشمسهم قد طلعت، وعلومهم أكثرها صارت ضرورية.

أمّا الظنّ الجميل بالله فليس من هذا الباب، والتباس عاقبة الرجل عليه ليس أيضـــا من هذه الجملة ذات الظن المعلول في الله، وفي صفاته وأحكامه"[1].

– **كذلك نهى الله تعالى عن الظن في مجال السلوك والأخلاق**، فلا يجوز ألقاء التهم وإلصـــاقها بالمؤمنين وهي لا تحمل من الدلائل إلا بعض الظن.

قال تعالى ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيم (١٢)﴾ [الحجرات ١٢].

يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو التهمة والتخوين للأهل والأقارب والناس في غير محله لأن بعض ذلك يكون إثما محضا، فليجتنب كثير منه احتياطا وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ولا تظنن بكلمه خرجت من أخيك المسلم إلا خيرا، وأنت تجد لها في الخير محملا.

وقد أكدت السنة المطهرة على التحذير من الظن، وعدم قبول الدلائل من غير تحقق، وجعلت الشك والظن من أكذب الحديث.

كما جاء ذلك واضحا على لسان صاحب البلاغة والبيان صل الله عليه وسلم وقد أورد الإمام البخاري هذا الحديث في أكثر من باب من أبواب

---

(1) لطائف الإشارات، تفسير القشيري ج٣ ص٤٨٥.

الصحيح غير أنه لحرص البخاري على قيمة هذا الحديث الشريف وضعه أيضا في " باب تعليم الفرائض" لما في التعليم وتعليم الفرائض على وجه خاص من عدم قبول الظن وإن الظن فيه وفي غيره من أكذب الحديث.

فعن أبى هريرة، قال: قال رسول الله صل الله عليه وسلم : << إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا>>[1].

ويوضح ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري المراد بالظن " قال المهلب: فهذا الظن الذي أراد عقبة ليس هو الاجتهاد على الأصول وإنما هو الظن المنهي عنه في الكتب والسنة مثل ما سبق إلى المسئول من غير أن يعلم أصل ما سئل عنه في كتاب الله أو سنة نبيه صل الله عليه وسلم، أو أقوال أئمة الدين.

وأما إذا قال وهو قد علم الأصل من هذه الثلاثة فليس بظان وإنما هو مجتهد والاجتهاد سائغ على الأصول"[2].

[1] صحيح البخاري جـ٨ ص١٤٨ وكذلك في صحيح مسلم باب تحرم الظن والتجسس جـ٤ ص ١٩٨٥

[2] ابن بطال أبو الحسن على بن خلف بن عبدالملك (المتوفي: ٤٤٩هـ) شرح صحيح البخاري لابن بطال،"

وقوله : (أكذب الحديث) قيل : الكذب لا يقبل الزيادة فكيف جاء منه أفعل التفضيل؟ وأجيب: بأن معناه الظن أكثر كذبا من سائر الأحاديث. قيل الظن ليس بحديث. وأجيب: بأنه حديث نفساني ومعناه: الحديث الذي منشؤه الظن أكثر كذبا من غيره، وقال الخطابي أي : الظن منشأ أكثر الكذب"

ومن خلال ما سبق ، ومن تلك الحجج التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله الله صل الله عليه وسلم، والتي جعلت من الظن حاجبا عن معرفة الدليل والبرهان في العقيدة، والسلوك والأخلاق، والعلم والتعلم فالظن في حقيقته:

- **الوهم والسراب الذي تكل العين به عن النظر في الحجة.**
- **وهو المرض العضال الذي يصيب العقل عن التفكر والتدبر.**
- **وهو الشك الذي يزلزل الفؤاد عن اليقين والثبات.**
- **وهو الشيخوخة المبكرة التي تصيب العلوم، فتوقفها عن مواكبة التطور.**

ولا فرق هنا بين علوم الدين وعلوم الدنيا، فالكل مطالب بالبعد عن الظن والتخمين والوهم، وذلك لأنه الآفة التي تقضى على العقيدة وتعطل الشريعة وتدمر العلوم وتمحوها، وهذا بخلاف الظن من أجل الوصول إلى اليقين الذي لا شك فيه، فهذا من الأمور المحمودة في العقيدة والعلم، وهذا ما دلنا عليه رب العالمين على لسان إبراهيم عليه السلام حيث قال

سبحانه: (وإذا قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم " (البقرة ٢٦٠).[١]

- **من الفوائد المرجوة في معرفة المكي والمدني في الحديث النبوي، وكذلك من أهداف البحث في هذا المجال نبين بعض هذه الفوائد:**

أولاً: معرفة خصائص وسمات حديثه الشريف، والتمييز بين خطاب النبي الله صل الله عليه وسلم المكي وبين خطاب المدني، والسمات الخاص لكل منهما.

إن معرفة المكي والمدني يعطى بعداً جديدا، في التعرف عن قرب على تحديد كيف كان خطاب النبي لأهل مكة، وما حمله من سمات وخصائص، وخطابه لأهل المدينة وما حمله من سمات وخصائص،

- تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م جـ٨ صـ ٣٤٣.

(١) أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفى بدر الدين العيني (المتوفي: ٨٥٥هـ) : عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت جـ ٢٣ من ٢٣٢.

وذلك بمقضى بلاغته، ثم المقارنة بين الخطابين والخروج بالفائدة التي ينتفع بها المسلمون.

فمثلا: معرفة ورود النداء بالتوحيد وبناء العقيدة، ومنابذة الشرك، من خصائص الحديث المكي، وكذلك كل ما ورد فيه كلام عن الاستضعاف فهو حديث مكي.

– وكذلك حيث يغلب استخدام كلمة الكفار أو المشركين في الخطاب نعرف بأنه خطاب مكي ولو تأملنا وأمعنا النظر في بعض صيغ خطابه صل الله عليه وسلم في المدينة فإننا نجد أن صيغ الخطاب قد تغيرت، بحيث نرى مصطلحات أخرى مغايرة للمصطلحات المكية، ومثال ذلك أن الأحاديث التي ذكر فيها إذن بالحرب أو القتال أو الغزوات من مصطلحات الخطاب النبوي المدني، كذلك خطاب أهل الكتاب من اليهود وكذلك النصارى فهو من الصيغ المدنية في الحديث الشريف.

– كما كان دخول مصطلح النفاق جديداً ولم يعرف في خطاب النبي صل الله عليه وسلم في مكة، لذا فالأحاديث التي ذكر فيها النفاق والمنافقون، هي أحاديث مدنية

– ومعرفة هذه الصيغ النبوية وتحديدها، لها من الفوائد العظيمة والجليلة ما لا يخفى على أحد، وعلى الرغم من شيوع وذيوع هذه الصيغ في خطاب النبي صل الله عليه وسلم إلا أنها لم نحدد أو تبوب، حتى يستفيد

منها أهل العلم. والأقدر على فهم هذا الباب و على استخراج مكنونه وكنوزه ودرره، هم أهل اللغة والبلاغة والبيان.

ثانيا: استجلاء مقصد النبي صل الله عليه وسلم الأمثل من قوله وفعله وتقريره.

يساعد هذا الأمر على معرفة المكي والمدني في الحديث النبوي، أي معرفة الزمان والمكان، مع علوم السنة الأخرى، وكما ساعد علم سبب ورود الحديث في تحديد السبب من قوله النبي صل الله عليه وسلم، كذلك سيساعد المكي والمدني في تحديد الزمان والمكان لقول النبي وفعله على وجه التقريب.

وكان هدف شراح الحديث الشريف هو استيضاح مقصد النبي صل الله عليه وسلم في السنة المطهرة وكثيرا ما حاولوا بالشرح والتحليل الأخذ من الحديث الشريف بمقتضيات عصورهم، ولكن تبقى المعاني في الحديث الشريف باقية خالدة، متجددة متطورة، صالحة في كل عصر وفي كل مصر، تنتظر مزيدا من الشرح والاستجلاء والتنقيب بما يناسب الزمان والمكان، بما ينفع الناس ويصلح شأنهم.

إن معرفة المكي والمدني في الحديث النبوي، أو محاولة تحديد الزمان والمكان في أحاديث النبي صل الله عليه وسلم ولو على وجه التقريب، بالرغم من صعوبة هذا الأمر ومشقة بحثه، أعتقد أنه سيجلب نفعا عظيما وخيراً عميماً لمحبي السنة المطهرة وشراحها.

وذلك حينما تنقل عن عظيم من العظماء، أو زعيم من الزعماء، ثم لا تقيد أقواله بزمن محدد، أو مكان معين، فإن هذا يعد تفريطا في تراثه، وإهمالا فيما أثر عنه.

وأنا أربا بأمة لم تدخر جهدا، أو وقتا، أو وسعا، في المحافظة على سنة أعظم العظماء، وسيد السادات وخاتم المرسلين محمد صل الله عليه وسلم، على مر الزمن، أن تترك أمرا سيزيد من الحفاظ على السنة المطهرة، ويحدد في الحديث الشريف أو في معظمة، الزمان والمكان، ولو على وجه التقريب. وكما ساعد المكي والمدني في القرآن الكريم في تفسير كتاب الله تعالى وفهم معانيه واستيضاح ألفاظه، واستجلاء مقصده، فإن الأمر لا يختلف كثيرا في تطبيق ذلك في السنة المطهرة، فلا غرابة في أن معرفة المكي والمدني في الحديث النبوي سيقوم بالدور نفسه الذي قام به المكي والمدني في القرآن الكريم.

ثالثا: كعامل مساعد على ضبط الرواية، بالإضافة إلى القواعد المعمول بها في علم الدراية وعلوم مصطلح الحديث...

بذل السابقون من أهل الحديث من الجهد والمشقة في التأليف والتصنيف في السنة المطهرة، وما لا تجاريهم فيه أحد، ولو عاش أبد الدهر، أن يصنع مثل صنيعهم أو يقترب من رحابهم.

فلقد قيضهم الله تعالى للذب عن سنة رسوله صل الله عليه وسلم، والدفاع عن حديثه الشريف، بهذا التراث من أمهات الكتب، ومصادر العلم. وكان أول من صنف في هذا العلم تصنيفا " للإمام الترمذي كتاب المسمى بـ " الجامع" على الأبواب المعللة، ثم ختم كتابه بكتاب صغير في العلل، بين فيه مقاصده، ومصادره ورجاله ومصطلحاته.

" ومع أن هذا الكتاب مسبوق بجهود متفرقة في علم الدراية، كما هو مسبوق بمقدمة صحيح المسلم، التي حددت مقاصد مسلم ورجاله، وبعض آرائه، رغم كل هذا فإن كتاب العلل الصغير للترمذي جاء أتم وأكمل، وجاز لنا أن نعتبره أول مصنف في علوم الحديث، وموضوعاته أشمل وأدق من موضوعات " المحدث الفاصل" للرامهرمزي الذي قيل فيه: أنه أول مصنف في علوم الحديث"[1].

---

[1]) زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) لشرح علل الترمذى المحقق: الدكتور همام عبد الرحيم سعيد ، الناشر: مكتبة المنار – الزرقاء – الأردن ، الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ج ١ صـ ٤١ .

وقد ألفت مؤلفات هائلة في هذا العلم

يقول الإمام ابن حجر العسقلاني (المتوفي: ٨٥٢هـ) تحت عنوان [المؤلفون في مصطلح الحديث ومؤلفاتهم في كتابة نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر فمن أول من صنف في ذلك:

١- القاضي أبو محمد الرامهرمزي في كتابة: " المحدث الفاضل" ، لكنه مل يستوعب.

٢- والحاكم أبو عبد الله النيسابوري، لكنه لم يهذب، ولم يرتب.

٣- وتلاه أبو نعيم الأصبهاني فعمل على كتابه مستخرجا وأبقى أشياء للمتعقب.

٤- ثم جاء بعدهم الخطيب أبو بكر البغدادي فصنف في قوانين الرواية كتابا سماه: "الكفاية"، وفي آدابها كتابا سماه: " الجامع لآداب الشيخ السامع"، وقل فن من فنون الحديث إلا وقد صنف فيه كتابا مفردا؛ كان كما قال الحافظ أبو بكر بن نقطة: كل من أنصف علم أن المحدثين بعد الخطيب عيال على كتبه، ثم جاء بعض من تأخر عن الخطيب، فأخذ من هذا العلم بنصيب.

٥- فجمع القاضي عياض كتابا لطيف سماه: "الإلماع".

٦- وأبو حفص الميانجي جزءا سماه: " ما لا يسع المحدث جهله" وأمثال ذلك من التصانيف التي اشتهرت، وبسطت؛ ليتوفر علمها، واختصرت؛ ليتيسر فهمها، إلى أن جاء: الحافظ القيه

تقي الدين أبو عمرو عثمان بن الصلاح بن عبد الرحمن الشهرزوري نزيل دمشق فجمع – لما ولى تدريس الحديث بالمدرسة الأشرفية – كتابة المشهور، فهذب فنونه، وأملاه شيئا بعد شيء؛ فلهذا لم يحصل ترتيبه على الوضع المتناسب، واعتنى بتصانيف الخطيب المفرقة، فجمع شتات مقاصدها، وضم إليها من غيرها نخب فوائدها، فاجتمع في كتابه ما تفرق في غيره؛ فلهذا عكف الناس عليه، وساروا بسيره، فلا يحصى كم ناظم له ومختصر، ومستدرك عليه ومقتصر، ومعارض له ومنتصر"[1]

ثم تتابع التأليف في علوم الحديث بعد ذلك وكثرت المؤلفات، وذلك بهدف المحاولة الصادقة في الحفاظ على السنة المطهرة.

وربما يكون في التصنيف الجديد الذي بين أيدينا، وهو تقسيم الحديث إلى مكي ومدني عون جديد لزيادة الضبط في الرواية، فإذا قلنا مثلا أن هذا الحديث حديث صحيح مدني، فإن ذلك يساعد في زيادة الضبط للرواية. وكذلك أن هذه الرؤية إن قدر لها النجاح ستكون إحدى فروع علوم الحديث.

---

(1) أو الفضل أحمد بن على بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفي:٨٥٢هـ): نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر – المحقق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي – الناشر: مطبعة سفير بالرياض الطبعة : الأولى، ١٤٢٢هـ من : ٢٩-٣١

رابعاً: ضبط عملية الاستدلال بالحديث النبوي؛ ووضع الحديث الشريف في موضعه الصحيح حين الاستشهاد به.

في كثير من الأحيان نجد من يستشهد بالحديث النبوي، وبخاصة الأخوة الدعاة وأغلب المتحدثين في الإسلام، بحديث النبي صل الله عليه وسلم ووضعه في غير موضعه، فتجد أن دلالة الحديث الشريف لا تفيد السامع أو القارئ، وربما يعطي معنى آخر مخالف لم يحمله الحديث الشريف.

فإذا قيدنا الحديث الشريف وقلنا أن هذا حديث مكي وحددنا له بعض الخصائص المناسبة، وأن الآخر حديث مدني وحددنا له خصائصه، كما سبق في هذه الرؤية التي نطرحها.

سهُل على من يستدل به وضع الحديث الشريف في موضعه الصحيح والاستفادة منه بما يحقق للسامع أو القارئ ما قصده النبي صل الله عليه وسلم. وذلك علي غرار ما كان في علوم القرآن الكريم، وهذا لا يخالف القاعدة المعروفة في علوم القرآن بأن الآيات ليست بخصوص السبب ولكن بعموم اللفظ.

فالدارس للمكي والمدني في القرآن الكريم حينما يقرأ كتاب الله تعلى، أو يستهد بآياته الكريمة، لا يحتاج إلى كثير عناء لمعرفة السابقة للمكي والمدني، والوصول إلى موطن الاستشهاد والاستدلال، وذلك لأنه تحددت لديه الخصائص التي ساعدت على الفصل بين المكي والمدني، حتى ولو كان في السورة الواحدة.

فإذا أراد الباحث الحديث أو الكلام عن العقيدة وإفراد الله تعالى بالعبودية وتقديم الأدلة من الأنفس والكون، علم أ،هـ سوف سيستدل بالآيات المكية.
وإذا أراد الاستدلال بالآيات عن محو العادات القبيحة في الجاهلية وشرح أصول الأخلاق وحقوق الاجتماع، فان آيات الاستشهاد ستكون من الآيات والسور المكية.
كما أن تتبع قصص وتباً الرسل وأخبار الأمم الماضية هو أيضا في الأغلب في السور والآيات المكية في مقابل ما عُلم من خصائص القرآن المدني كالتحدث عن دقائق التشريع كآية الدين في وسورة البقرة وغيرها من السمات والخصائص المعروفة.
وقد أسدت معرفة المكي والمدني في القرآن الكريم خدمة جليلة للباحثين والدارسين في سهولة وسرعة الاستدلال ووضع الآيات في موضعها بحيث تعطي المعني المراد منها.
والمرجو والمأمول من دراسة المكي والمدني في الحديث النبوي، أن يعطي الفائدة نفسها التي قدمتها دراسة المكي والمدني في علوم القرآن الكريم، بحيث تَّحدد للمكي والمدني في الحديث النبوي سمات وخصائص تساعد الباحثين للسنة النبوية على سهولة ويسر الاستدلال وسرعة الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف ووضع الحديث الشريف في مكانه الصحيح، حتى يعطي الفائدة في المعني المراد منه.

مثلاً: ليس من الصواب الاستشهاد بخطاب أو حديث شريف للنبي صل الله عليه وسلم وكان في بداية الفترة المكية، نستدل به في فترة ما بعد شيوع الإسلام وذيوعه كما في أحاديث النبي صل الله عليه وسلم بالمدينة. ولكن الصحيح أن نستدل ونستشهد بالحديث المكي في المجتمعات التي ينتشر فيها الإسلام حديثا، كما في المجتمعات الأوربية، أو المجتمعات البدائية، فإنها أحوج ما تكون إلى الحديث المكي لأنها تشبه إلى حد بعيد الفترة المكية التي جاءت فيها تلك الأحاديث الشريفة، كما في معالجة قضايا العقيدة والاستدلال على ذلك بما ساقة الرسول صل الله عليه وسلم في حديثة الشريف من أمثلة على ذلك.

وعلى مثل هذه الأمور يمكن الاستفادة بتصنيف المكي والمدني في الحديث النبوي في كثير من الموضوعات التي تفيد في مجال البحث، وكذلك في مجال الدعوة والتبشير بالإسلام.

خامساً : استكشاف معان ومفاهيم جديدة تحتاج إليها العلوم بخاصة علوم اللغة العربية وعلوم الدعوة وعلوم الحديث وعلوم الشريعة.

العلوم الإسلامية كنسيج واحد لا يمكن فصل علم عن علم، فعلم التفسير بحاجة إلى علم اللغة ومعرفة العربية، وعلم الحديث بحاجة على علم التفسير، وعلم الفقه وأصوله والشريعة يحتاج إلى معرفة كل ما سبق وهكذا، وكان من علماء المسلمين من يوصف باللغوي والمفسر والفيلسوف

والطيب لحرصه الشديد على جمع كل علم يفيد الإسلام وينتفع به المسلمون.

وكان دأبهم الشديد استكشاف معان ومفاهيم جديدة تحتاج إليها علومهم، وكان هذا يدفعهم دفعا إلى التنقيب في كآفة العلوم وفروعها، دون عوائق وما عرف عالمنا اليوم بالتخصص.

وهذا لا يعني أنهم لم يتميزوا فيما كتبوا وألفوا، بل كان العالم منهم إذا كتب في اللغة يظن أنه لا يتقن إلا هذا الفن، وإذا كتب في التفسير كان لا يشق له غبار وإذا ألف في الفلسفة جارى علماء الإغريق، وحق أن نطلق عليهم صفة لموسوعيه. وذلك لأحاطتهم بمعظم علوم عصرهم.

أن الفائدة التي من الممكن أن يقدمها المكي والمدني في الحديث النبوي بهذه الرؤية الجديدة إلى بقية العلوم الإسلامية كبيرة، وأظن أنها من الأمور المهمة التي تستفيد منها علوم اللغة العربية وعلوم الدعوة وعلوم الحديث وعلوم الشريعة.

- **وهذا مزيد من الضوء على بعض الفوائد في هذه العلوم باختصار:**

أولاً: علوم اللغة العربية:

لو تأمل وأهل البلاغة والبيان في صيغ الخطاب النبوي، التي من الممكن تحديدها كما سبق، بالإضافة إلى دراسة خصائص المكي من الأحاديث والمدني منها، أعتقد أنهم سيجدون فروقا رئيسية بين صيغ الخطابين

كيف لا وقد أمرنا من قبل رسول الله وصحبه الكرم بمخاطبة الناس على قدر عقولهم وإفهامهم، وهذا أقل ما تقتضيه البلاغة، وذلك كما روي ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صل الله عليه وسلم: " أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلم الناس على قدر عقولهم".

كما أخرج البخاري صحيحه في باب العلم عن على رضي الله عنه قال " حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله".

وكما أورد الإمام مسلم في مقدمة صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال" (ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة).[1]

كذلك ورد في الحديث الضعيف كما قال ابن حجر ولكن له شواهد من الصحيح أنه قال " أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم".

كما سيجدون مميزات وفروق أخرى، كما في طول الحديث الشريف وقصره فربما نجد أن الحديث المكي في صياغته قليل الكلمات، مقتضب عميق المعني دقيق اللفظ، وذلك في أغلبه.

بينما تتميز الأحاديث المدنية بالشرح والإيضاح والتطويل في كثير منه نظرا لكثرة الأحكام والفروض والأركان.

---

(1) صحيح الأمام مسلم جـ١ صـ ١١.

ثانياً: علوم الدعوة:

تحتاج علوم الدعوة الإسلامية إلى معرفة المكي والمدني في الحديث النبوي وذلك في كثير من مناحيها المختلفة.

فالداعية يترسم خطي النبي صل الله عليه وسلم وهدية المنير، وسبل دعوته الشريفة، حتى يحصد الداعية ثمار ما بذله من جهد في إقناع مجتمعه وجمهوره بما يدعو له، وبخاصة وقد شرف بحمله لهذه الأمانة وهي الدعوة إلى الإسلام فعليه أن يقوم بعرضها وفقاً لمنهج النبي صل الله عليه وسلم، فإذا كان عنده تصنيف للحديث النوبي يبين له المكي والمدني من أحاديث رسول الله، وعلم خصائص هذا التصنيف، فإنه عند ذلك يعلم ما يصلح المجتمع الذي يدعو فيه إلى الإسلام، فيقوم باستخدام الحديث المكي في معالجة الأمور الاجتماعية والأمراض والعلل الجاهلية، كما في المجتمعات المشابهة لمجتمع المكي، وكما في الأقوام أو المجتمعات البدائية أو حديثي العهد بالإسلام كما في المجتمعات الأوربية، فهنا يحسن الاستشهاد بالحديث المكي، فهذا هو السبل الذي أتبعه النبي في مثل هذه المجتمعات.

وعلى الداعية أن يسير على المنهج الذي خطه النبي – صل الله عليه وسلم – وإذا كان يقوم الداعية بالدعوة في مجتمعات مشابهة لمجتمع المدينة، قد ترسخت فيها قواعد الإسلام، وأقيمت فيها الأحكام وكانت فيها التركيبات الدينية والعرقية فيحسن دراسة وتطبيق الحديث المدني وهكذا...

وهذا بعض ما يستفاد منو معرفة المكي والمدني في الحديث النبوي، وربما تأتي دراسات أخرى تبين المزيد من أوجه الاستفادة من هذا التصنيف.

ثالثا: **علوم الحديث**:

إن قدر الله تعالى لهذه الرؤية الجديدة الوليدة، وهي تصنيف المكي والمدني في الحديث النبوي، النجاح، فسوف تكون بإذن الله تعالى وعونه، فرع من علوم مصطلح الحديث الشريف، كما أن المكي والمدني في القرآن الكريم فرع من فروع علوم القرآن، وستكون بإذن الله تعالى إضافة مهمة يتبين من خلالها معاني جديدة في الحديث الشريف، ربما لم تكن واضحة من قبل، فمعرفة الحديث من خلال الراوي، وتحديد المكان والزمان ولو على وجه التقريب ووضع ذلك في إطار تصنيف وضوابط المكي والمدني كما سبق يكون خالص بالحديث الشريف.

رابعاً: **علوم الشريعة**:

إن معرفة الأحكام والفروض والأركان، من أهم العلوم الشرعية فهي أسس الدين الحنيف، ودعائمه، وبغيرها لا يمكن للمرء أن يكون مؤمنا، كامل الإيمان، ولا يتم ذلك إلا بالاطلاع والفهم الجيد للسنة النبوية وما جاء في هذا الحكم أو هذا الركن من أدلة في الكتب والسنة.

فإذا قمنا بتحديد الحديث الشريف ووضعنا له المكي والمدني يتبين من خلال استخدام الحديث الشريف في الركن أو الحكم أو الفرض، وزمن

تشريعه من غير كثير عناء بشرح وتفصيل، وأدركنا في اختصار شديد أن أحاديث الصلاة والخاصة بفرضيتها مكية، وأن أحاديث الصيام والحج أحاديث مدنية، وهكذا في بقية الأحكام والأركان.

كذلك يمكن الاستفادة بهذا التصنيف في معرفة وتحديد الناسخ والمنسوخ من الأحاديث الشريفة، التي لم يجزم بها، أو حولها خلاف بين العلماء، فإذا عرفنا كما سبق زمان الحديث ومكانه، كما أوضحنا ولو على وجه التقريب استطعنا تحديد أي من الحديثين ناسخا للأخر، بذلك ترفع الإشكالية الخلافية حول الحكم أو الفرض أو الركن.

وهذا العلم كام يقول الزهري: << أعياء الفقهاء وأعجزهم أن يعرفوا ناسخ حديث رسول الله صل الله عليه وسلم من منسوخه >>.

فإذا قمنا بوضع ضوابط وتصنيف المكي والمدني في الحديث النبوي، فإن هذا الأمر سيساعد إلى حد كبير في الخروج من بعض الإشكاليات الخلافية بين المذاهب وتحديد الحديث الشريف ووضعه في بابه.

****

سادساً: وضع مكي ومدني في بداية الحديث سيُخلص أمورا كثيرة يحتاج إليها القارئ أو الباحث.

كما نرى في القرآن الكريم في بداية السور نجد أن السابقين من العلماء وضعوا قواعد لمعرفة السورة فمثلا نجد أنها مكية أو مدنية، وإن كان فيها

آية مكية أشير إلى ذلك وعدد الآيات ثم متى أنزلت أو أنزلت بعد سورة وكذا.

وكان في السابق لا يقرأ الطفل حين يحفظ القرآن الكريم إلا إذا قال بصوت عال مسموع مثلا سورة القرة مدينة إلا آية ٢٨١ أنزلت في حجة الوداع، وذلك في كل السور، مما يورثه معرفة سابقة ويلخص له بعض المعارف من الممكن أن يحتاج إليها في مقتبل العمر، وينتفع بها كثيرا في معرفة كتاب الله تعالى ودراسته كذلك حينما يُطالع الباحث في بداية السور هذا الأمر يجعله على دراية بما تحويه السور من دلالات وإشارات وأسرار، جاء كلها في كلمتين مكي ومدني.

وعلى غرار ما تقدم في علوم القرآن الكريم، نستفيد من خلال دراسة المكي والمدني في الحديث النبوي ووضع ما يشير في بداية الحديث الشريف إلى أن الحديث الذي يُقرأ أو يبُحث بأنه مكي أو مدني، مما يضع أمام القارئ أو الباحث بعض الأشياء التي يحتاج إليها دون عناء ومشقة البحث.

فلقد لخص لطالب العلم في كلمة مكي أو مدني، معرفة أمور كثيرة كمعرفة صيغ الخطاب وخصائصه ومعرفة الراوي ومعرفة المكان والزمان على وجه التقريب وكذلك معرفة زمن كثير من الأحكام والأركان.

ومما لا شك فيه سيستفيد من ذلك الأمر الباحثون في السنة النبوية وفي بقية العلوم الإسلامية.

الخاتمة

كانت هذه الرؤية باجتهاد مني، وبتوفيق من الله، وأن أطرح تلك التساؤلات والاستفسارات والإجابة عنها، في محاولة لدراسة جديدة لناحية من نواحي السنة المطهرة، لعل الله أن يفتح بها أذاناً صماً وأعيناً عميًا وقلوبًا غلفاً وإلى الاهتداء إلى مزيد معرفة بسنة المحتار صل الله عليه وسلم، والاستضاءة بها في ظلمات الجهل والضلالة.

كذلك كانت هذه الرؤية للتيسير على الباحثين والدراسين بالوصول إلى معرفة الحديث الشريف وبعض دلائلة وأسراره، وموطن آثاره، والاستشهاد به في موضعه، والمرجو والمأمول من دراسة المكي والمدني في علوم القرآن الكريم بحيث تُحدد للمكي والمدني في الحديث النبوي سمات وخصائص تساعد الباحثين للسنة النبوية على سهولة ويسر الاستدلال وسرعة الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، ووضع الحديث الشريف في مكانه الصحيح، حتى يعطي الفائدة في المعني المراد منه.

وكما ساعد المكي والمدني في القرآن الكريم في تفسير كتاب الله تعالى وفهم معانيه واستيضاح ألفاظه، واستجلاء مقاصده، فإن الأمر لا يختلف كثيرا في تطبيق ذلك في السنة المطهرة.

فلا غرابة في أن معرفة المكي والمدني في الحديث النبوي سيقوم بالدور نفسه الذي قام به المكي والمدني في القرآن الكريم.

إن الفائدة التي من الممكن أن يقدمها المكي والمدني في الحديث النبوي بهذه الرؤية الجديدة إلى بقية العلوم الإسلامية كبيرة، وأظن أنها من الأمور المهمة التي تستفيد منها علوم اللغة العربية وعلوم الدعوة وعلوم الحديث وعلوم الشريعة.

وكما نرى في القرآن الكريم في بداية السور نجد أن السابقين من العلماء وضعوا أنها مكية أو مدنية، كما وضعوا قواعد لمعرفة السورة، وإن كان فيها آية مكية أو مدنية أشير إلى ذلك، وعدد الآيات ثم متى أنزلت أو أين أنزلت وترتيبها في النزول.

وبهذه القواعد السابقة لقد لُخص للباحث أو القارئ في كلمة مكي أو مدني فقط معرفة أمور كثيرة كمعرفة صيغ الخطاب وخصائصه ومعرفة الراوي ومعرفة المكان والزمان على وجه التقريب وكذلك معرفة زمان كثير من الأحكام والأركان.

ومما لا شك فيه سيستفيد من ذلك الأمر الباحثون في السنة النبوية وفي بقية العلوم الإسلامية.

كما أشير أخيرا أن هذه الضوابط التي تم وضعها لمعرفة المكي والمدني في الحديث النبوي قابلة إلى إضافة قواعد أخرى كلما جد جيد.

كما يمكن استكشاف فوائد أخرى بالإضافة إلى ما سبق في هذه الرؤية بفضل الله وعونه.

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: كتب التفسير وعلومه:

١. الإمام الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم- راجعه وقام بتصحيحه أبو عبد الرحمن أحمد بن محمد – مكتبة الإيمان – ببريدة – السعودية.

٢. إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن على بن أبى بكر البقاعي (المتوفي: ٨٨٥هـ) : مَصَاعدُ النَّظَر للإشراف على مقاصد السور ويسمى: المقد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى " دار النشر : مكتبة المعارف – الرياض الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٣. أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازى الملقب بفخر الدين الرازى خطيب الري (المتوفي: ٦٠٦هـ) : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ.

٤. أبو عُبيد القاسم بن سلّام بن عبد الله الهروي البغدادي: الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن – دراسة وتحقيق: محمد بن صالح الناشر مكتبة الرشد/ شركة الرياض – الرياض الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

٥. الإمام القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن بكر بن فرح الأنصار الخزرجي: الجامع لأحكام القرآن – تحقيق أحمد البردوني – دار الكتب المصرية – القاهرة – الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.
٦. العلامة جار الله أبو قاسم محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف – دار الكتاب العربي.
٧. بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفي: ٧٩٤هـ): الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م الناشر : دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
٨. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفي:٩١١هـ) الإتقان في علوم القرآن المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم – الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب– الطبعة: ١٣٩٤هـ/١٩٧٤.
٩. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفي: ٩١١هـ): لباب النقول في أسباب النزول ضبطه وصححه: الأستاذ احمد عبد الشافي الناشر : دار الكتب العلمية بيروت – لبنان،
١٠. عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفي: ٤٦٥هـ): لطائف الإشارات (تفسير القشيري) المحقق: إبراهيم البسيوني الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب– مصر الطبعة: الثالثة.

١١. عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطي: الدر المنشور في التفسير بالمأثور – دار هجر – مصر ٢٠٠٣م.

١٢. عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفي: ٤٤٤هـ): البيان في عد أي القرآن– المحقق: غانم قدوري الحمد – الناشر: مركز المخطوطات والتراث– الكويت الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

١٣. فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي: مفاتيح الغيب – دار الكتب العلمية بيروت.

١٤. محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفي : ٤٠٣ هـ): الانتصار للقرآن– تحقيق: د. محمد عصام القضاة الناشر: دار الفتح – عمان، دار ابن حزم – بيروت الطبعة : الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١.

١٥. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملى، أبو جعفر الطبري (المتوفي: ٣١٠هـ): تفسير الطبري= جامع البيان عن تأويل آي القرآن – تحقيق : الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي – بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة – الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان– الطبعة : الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١.

١٦.محمد بن على بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمنى (المتوفى: ١٢٥٠هـ) : فتح القدير الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب دمشق بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.

ثالثا: الحديث وعلومه:

١٧.ابن بطال أبو الحسن على بن خلف بن عبد الملك (المتوفي: ٤٤٩هـ) شرح صحيح البخاري لابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر ابن إبراهيم دار النشر: مكتبة الرشد- السعودية، الرياض الطبعة: الثانية ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

١٨.أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفي: ٨٥٢هـ) نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر – المحقق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي – الناشر : مطبعة سفير بالرياض الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٩.أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسى (المتوفي: ٢٣٥هـ): الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار – المحقق: كمال يوسف الحوت – الناشر: مكتبة الرشد – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٢٠.أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمى الهمداني، زين الدين (المتوفي: ٨٥٤هـ): الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار

الناشر – دائرة المعارف العثمانية– حيدر آباد، الدكن الطبعة: الثانية، ١٣٥٩هـ.

٢١. أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن أيوب بن أزداد البغدادي المعروف بـ ابن شاهين (المتوفي: ٣٨٥هـ): ناسخ الحديث ومنسوخه المحقق: سمير بن أمين الزهيري – الناشر : مكتب المنار – الزرقاء الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٢٢. أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفي: ٢٧٥هـ): سنن أبى داود – المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد – الناشر : المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٢٣. أبو سليمان محمد بن عبد الله بن أحمد بن ربيعة بن سليمان بن خالد ابن عبد الرحمن بن زبر الربعي (المتوفي: ٣٧٩ هـ: تاريخ مولد العلماء ووفياتهم – المحقق: د. عبد الله أحمد سليمان الحمد الناشر: دار العاصمة – الرياض الطبعة : الأولى، ١٤١٠ هـ.

٢٤. أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على الخراساني، النسائي (المتوفي: ٣٠٣.هـ): السنن الكبرى – حققه وخرج أحاديث: حسن عبد المنعم شلبي – أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط – قد له: عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٢٥. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفي: ٢٤١هـ): مسند الإمام أحمد بن حنبل – المحقق : شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي – الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٢٦. أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم ابن الحكم الصبى الطهماني النيسابوري المعروف باين البيع (المتوفي : ٥، ٤ هـ): المستدرك على الصحيحين : تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.

٢٧. أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفي: ٢٠٤هـ): مسند الإمام الشافعي رتبه: سنجر بن عبد الله الجاولى، أبو سعيد، علم الدين (المتوفي: ٧٤٥هـ)- حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: ماهر ياسين فحل- الناشر : شركة غراس للنشر والتوزيع، الكويت- الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م.

٢٨. أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصرى، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفي: ٢٣٠هـ): الطبقات الكبرى –

المحقق: زياد محمد منصور الناشر : مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – الطبعة : الثانية، ١٤٠٨هـ.

٢٩. أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافي شرح السنة – تحقيق : شعيب الأرنؤوط – محمد زهير الشاويش الناشر: الكتب الإسلامي– دمشق، بيروت الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م.

٣٠. أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العيني (المتوفي: ٨٥٥هـ): عمدة القاري شرح صحيح البخاري، الناشر: دار إحياء التراث العربي–بيروت.

٣١. أ؛مد بن على بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعى: فتح الباري شرح صحيح البخاري– الناشر: دار المعرفة–بيروت، ١٣٧٩– رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي– قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب– عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٣٢. أحمد بن محمد بن أبى بكر عبد الملك القسطلاني : إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري– المطبعة الأميرية١٣٢٣هـ لطبعة السابعة.

٣٣. أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية–

تقديم أبو عمرو عماد زكي البارودي المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر سنة ٢٠٠١م.

٣٤. أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن، أبو نصر البخاري الكلاباذي (المتوفي:٣٩٨هـ) والهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد رجال صحيح البخاري المحقق: عبد الله الليثي الناشر: دار المعرفة – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ.

٣٥. دكتور أحمد عمر هاشم: النسة النبوية في مواجهة التحدى- سلسلة البحوث الإسلامية السنة الثانية عشرة – الكتاب الثاني.

٣٦. دكتور الأحمدي أبو النور: شذرات من علوم السنة جـ١، سلسة رسالة الطالب العدد الأول، وزارة الأوقاف- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- ط١٩٨٦ القاهرة.

٣٧. دكتور محمد محمد أبو زهو: الحديث والمحدثون (عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية)- مطبعة مصر – ١٣٧٨هـ.

٣٨. دكتور محمد محمد أبو شهبة: في رحاب السنة (الكتب الصحاح السنة) – سلسلة البحوث الإسلامية- الكتاب الثامن- إصدار مجمع البحوث الإسلامية- الكتاب الثامن- ط١٣٨٩هـ ١٩٦٩م.

٣٩. زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنيلى(المتوفي: ٧٩٥هـ): شرح علل الترمذي

المحقق: الدكتور همام عبد الرحيم سعيد، الناشر: مكتبة المنار – الزرقاء– الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م.

٤٠. زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامى، البغدادي، ثم الدمشقى، الحنبلى(المتوفي:٧٩٥هـ): جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم– المحقق: شعيب الأرناؤوط– إبراهيم باجس– الناشر: مؤسسة الرسالة– بيروت – الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م.

٤١. شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعى(المتوفي:٩٥٦هـ): المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية صل اله عليه وسلم من صحيح الإمام البخاري– حققه وحرج أحاديثه: أحمد فتحى عبد الرحمن – الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان– الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م.

٤٢. عبد الرحمن بن أبى بكر، جلال الدين السيوطي اللمع في أسباب ورود الحديث– مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع– الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٤٣. محمد الحافظ التيجاني: سنة الرسول– هدية مجلة الأزهر شعبان ١٤٢٧هـ.

٤٤. محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغير البخاري، أبو عبدا الله: صحيح البخاري المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة لطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤٥. محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم ابن حبان: ترتيب: الأمير علاء الدين على بن بلبان الفارسي(المتوفي: ٧٣٩هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط- الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٤٦. محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمى، البُستي (المتوفي: ٣٥٤هـ): الثقات – طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية تحت المراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية- الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحدير آباد الهند الطبعة: الأولى، ١٣٩٣هـ= ١٩٧٣.

٤٧. محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفي: ١٤٢١هـ): مصطلح الحديث- الناشر: مكتبة العلم، القاهرة- الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٤٨. محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفي: ٢٧٩هـ): الجامع الكبير- سنن الترمذى- المحقق:

بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت- سنة النشر: ١٩٩٨م.

٤٩. محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: تأويل مختلف الحديث - تحقيق محمد محي الدين الأصفر الدوحة في ١٥/ذو العقدة ١٤١٨هـ/١٤/٣/١٩٩٨م.

٥٠. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري(المتوفي: ٢٦١هـ): صحيح الإمام مسلم- المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي - الناشر : دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٥١. موسى شاهين لاشين: قصص من الحديث النبوي مكتبة الإيمان، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ٢٠٠٧م.

رابعا : كتب السيرة والفقه واللغة:

٥٢. القاضي أبي بكر بن العربي : العواصم من القواصم- المكتبة العلمية - بيروت - لبنان - ط١٤٠٦هـ- ١٩٨٦.

٥٣. سيد سابق: فقه السنة الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧.

٥٤. عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفي: ٢١٣هـ): السيرة النبوية لابن هشام- تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي - الناشر: شركة

مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر – الطبعة : الثانية، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.

٥٥. علي بن إبراهيم أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (المتوفي: ١٠٤٤هـ): السيرة الحلبية" إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون " الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة: الثانية – ١٤٢٧هـ.

٥٦. عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ(المتوفي: ٢٥٥هـ): البيان والتبيين – المؤلف: الناشر : دار ومكتبة الهلال، بيروت – عام النشر: ١٤٢٣هـ.

٥٧. محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني أبو عبد الله، الواقدي: المغازي- تحقيق: مارسدن جونس- الناشر: دار الأعلمي- بيروت الطبعة: الثالثة- ١٤٠٩/١٩٨٩.

٥٨. مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي(المتوفي: ١٣٥٦هـ) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية- الناشر : دار الكتب العربي- بيروت – الطبعة الثامنة- ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

٥٩. مجلة الرسالة أصدرها : أحمد حسن الزيات باشا (العدد ٧٦٠- بتاريخ: ٢٦-١٠-١٩٤٨.

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
تقديم الكتاب	٣
المقدمة	٧
الفصل الأول: مكانة السنة ومنزلتها في الإسلام	١١
المبحث الثاني: القرآن الكريم يشهد للسنة المطهرة بالوحي	١٢
المبحث الثالث: تدوين الحديث	٣٠
هل كتب الحديث في عصر النبوة؟	٣٠
الفصل الثاني: تقسيم الحديث إلى مكي ومدني	٤٩
اختلاف العلماء في تحديد المكي والمدني في القرآن الكريم	٥٣
المبحث الثاني: تقسيم الحديث إلى المكي والمدني	٥٩
عدة احتمالات لعدم تقسيم الحديث إلى مكي ومدني	٦٣
الرد على هذه احتمالات وتفنيدها	٦٤
المبحث الثالث: كيف يتم تقسيم الحديث إلى مكي ومدني؟	٦٨
المبحث الرابع: العلوم التي تساعد على تصنيف المكي والمدني في الحديث النبوي	٧١
أولا: علوم السيرة والمغازي	٧١

ثانيا: علم أسباب ورود الحديث	٧٤
ثالثا: علم رجال الحديث	٧٨
رابعا: علم الناسخ والمنسوخ في الحديث	٨٢
الفصل الثالث: ضوابط المكي والمدني في الحديث النبوي	٨٧
المبحث الأول: ضوابط بحسب صبغة الخطاب النبوي	٨٨
بلاغة الرسول من صنع الله	٨٨
بعض الضوابط المدنية في صيغ الخطاب المكي	٩٤
المبحث الثالث: ضوابط بمعرفة المكان	١٢٥
المبحث الرابع : ضوابط بمعرفة الفرائض والأركان	١٢٩
الفصل الرابع: الفوائد المرجوة من معرفة المكي والمدني في الحديث النبوي	١٣٧
الفائدة الأولى: معرفة خصائص وسمات حديث الشريف	١٤٥
الفائدة الثانية: استجلاء مقصد النبي الأمثل من قولة وفعله وتقريره	١٤٧
الفائدة الثالثة: كعامل مساعد على ضبط الرواية	١٤٩
الفائدة الرابعة : ضبط عملية الاستدلال بالحديث النبوي	١٥٢
الفائدة الخامسة: استكشاف معان ومفاهيم جديدة تحتاج إليها العلوم وبخاصة	١٥٤
علوم اللغة العربية	١٥٥

علوم الدعوة	١٥٧
علوم الحديث	١٥٨
علوم الشريعة	١٥٨
بالخاتمة	١٦١
المصادر المراجع	١٦٣
فهرس الموضوعات	١٧٥